النفي في العنوان الروائي مقاربة سيميائية تداولية
(إحسان عبد القدوس . أنموذجًا)

محمد ماهر محمد عبد الرحمن*
prof.maher900@gmail.com

ملخص

تأتي هذه الدراسة بعنوان **(النفي في العنوان الروائي مقاربة سيميائية تداولية (إحسان عبد القدوس . أنموذجًا)** منطلقة من معطيات الدرس اللساني الحديث، الذي ينظر إلى العنوان الروائي بوصفه علامة نصية وسيميائية ناطقة، تحمل بين أبنيتها التركيبية أبعادًا وظيفية عديدة، ويأتي البُعدان(التداولي والسيميائي) في موقع الصدارة من هذه الأبعاد، حيث صار العنوان الروائي ـ في الدراسات اللسانية ـ موضوع الدرس التداولي والسيميولوجي بامتياز، وإن كان الدرس التداولي ـ في أولياته التعريفية ـ هو علم العلامات الذي ينطلق في مساراته التحليلية من مبادئ خاصة ترتكز على النظام اللغوي ـ في المقام الأول ـ فإن السيميولوجيا هي ذلك العلم الذي يبحث في أنظمة هذه العلامات سواء أكانت لغوية أم غير لغوية.

وتعدُّ العلاقات المتشابكة بين (التركيب/التداولية/السيميائية) الفكرة التي تدور في فلكها هذه الدراسة، من خلال اختيار إحدى الظواهر اللغوية (النفي)واستكناه أبعادها التداولية والسيميائية في العناوين الروائية لدى أحد الكتاب المشهورين بتأسيس مدرسة خاصة في العنوان الروائي، وهو الكاتب الكبير(إحسان عبد القدوس).

واختارت الدراسة ثمانية أعمال روائية له، تنوعت ظاهرة النفي في عناوينها بين الأدوات والأفعال، وتعددت موقعياتها في التركيب الروائي ، وتعددت ـ تبعًا لذلك ـ وظائفها التداولية وأبعادها السيميائية، الأمر الذي حدا بالدراسة إلى افتراض نتيجة أساسية وهي: هيمنة سلطة الانتقاء اللغوي لهذه الظاهرة على قلم الكاتب في صوغه لتلكم العناوين الروائية، إلى غير ذلك من النتائج التي أثمرتها المقاربة السيميائية التداولية لهذه العناوين .

الكلمات المفتاحية: العنوان –التداولية–السيميائية–الرواية–النفي

---

* أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية – كلية الآداب- جامعة دمياط

مُدخل:

تتكوَّن اللغة . في سياقها الاستعمالي – من مجموعة من العلامات التي يوظِفها المتكلم لتحقيق قصده وبيان مراده، وتحقيق الترابط التواصلي بين طرفي الحديث وهذا يجعل الوظيفة الأساسية للغة متجاوزة حدود نقل الخبر أو حكاية الحال فالعلامات اللغوية تضطلع في المقام الأول ببيان الغرض، وهو ما قصده ابن جني في تعريفه للغة بأنها:"أصواتٌ يعبِّر بها كلُ قومٍ عن أغراضهم"(١)، إذ تبقى الوظيفة التعبيرية المنطلق الرئيس لعمليات الإبلاغ و التوصيل و التواصل والترابط والإنجاز والأداء، وغير ذلك من العمليات اللغوية التالية لمرحلة الإنتاج اللغوي، و تتلاقى هذه الوظيفة مع بيان المقاصد و توضيح الغايات، و بقدر كفاءة المستعمِل للغة بقدر نجاحه في تحقيق مقصديته والإبانة عن غرضه، فثمة شفرات تؤثر في عملية التواصل اللغوي تحتاج إلى مَن يحلُّ رموزها ويفتح مغاليقها، ويخصصُ مدلولاتها أو يعمم دلالاتها وفق معجميته الثاوية في مرحلة الاستقبال اللغوي؛ ومن ثمَّ فقد :"بات من المفيد دراسة العمليات التواصلية من وجهة نظر تداولية "(٢)؛ إذ إنَّ هذه الوجهة تُلقي الضوء باهتمامٍ بالغ على الوظيفة الإنجازية للغة، فعلى الرغم من تعدد مهام اللغة ووظائفها تبقى معطيات و دلالات لا يمكن إنجازها إلا بدراسة اللغة وفق اتجاهاتها الوظيفية، وهو ما قصده أوستن حين أشار إلى " أن وظيفة الملفوظات الإنشائية لا تقتصر على تقديم صورة صادقة أو فاسدة عن واقع معين للأشياء، ولكنها تتخطى هذه الوظيفة إلى ما هو أبعد من ذلك، وهي المساهمة في إنشاء ذلك الواقع بموجب عملية التلفظ بها ذاتها "(٣)، وهو بذا يجعل مرحلة التلفظ المرحلة الأعلى في الكشف عن أرقى وظائف اللغة وهو الإنجاز الفعلي، والحقيقة إنَّ وظيفة اللغة تتجاوز هذه المرحلة الأساسية بمراحل عديدة؛ فالإنجاز القولي مأرزٌ تؤول إليه الشفرات اللغوية التي يتغيا المتكلم بيانها أو إبهامها – وفق مقصديته ـ فضلًا عن أنه يحدد الإحالات الإشارية

للرموز اللغوية، وقد ينهض – في بعض الأحيان – بتحقيق بعض المقاصد والأهداف، لكن يظل هذا الإنجاز أساسًا تواصليًا يمهِّد لبنائية أفعال أخرى وتراكيب متتابعة تتشكل منها هرمية الخطاب، ومن ثم تنشأ عملية التواصل اللغوي لتظهر من خلال ذلك وظيفة أخرى للغة، وهي (الوظيفة التعاملية/التواصلية) التي تعتمد النص أساسًا للتواصل اللغوي، ومنطلقًا لتداولية الخطاب، وهو ما أشار إليه ليتش عندما "وضع نموذجًا يعرض فيه إسهامات عددٍ من عناصر النحو والبلاغة في وظيفية اللغة الموجهة لتحقيق هدف المرسل، وأعاد في هذا النموذج الاعتبار للوظيفة النصية باعتبارها وسيلة تجسيد الرسالة، وبوصفها الوسيلة التي تتجلى فيها قوة الخطاب الإنجازية الموجهة إلى المرسل إليه" (٤) .

وتتعدد نماذج الاستعمال اللغوي وفق مقصدية المتعاملين، وتختلف تبعًا لذلك مستويات هذا الاستعمال وفق السياق الاجتماعي أو الموروثات الثقافية أو المرجعيات الدينية أو التاريخية، أو خصوصية الخطاب اللغوي أو عموميته إلى غير ذلك من العوامل التي تؤثر في الاستعمال اللغوي، فعلى سبيل المثال تتعدد نماذج الاستعمال اللغوي في القرآن الكريم بين عدة أساليب، منها الأسلوب القَصصي الذي يعرض لأخبارٍ عن أمم سالفة وقرون هالكة ويتميز بنمطٍ خاص من مستويات التركيب اللغوي ومنها أساليب الأمر والنهي والنصح والتحذير التي تعرض لقضايا التكاليف وتُعنى بتنظيم حيوات المخاطَبين، إلى غير ذلك من أساليب الذكر الحكيم التي لا ينهض المقام بحصرها.

وتعدد تبعًا لهذه الأساليب مستويات الاستعمال اللغوي، وإن كان النص الحكيم في المرتبة الأسمى من الفصاحة و البلاغة – للمخاطبين، فعلى سبيل المثال يأتي خطاب القرآن الكريم للعموم المبدوء بـ (يَا أَيُّهَا النَّاسُ....) في كل مواضعه مختلفًا في سياقاته ومقاصده الإنجازية وأفعاله الكلامية واقتضاءاته التداولية ودلالاته السطحية

والعميقة عن خطاب الخصوص المبدوء بـ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا)**أو**(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا..)(التحريم:٧) **أو** (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ...) بل إنَّ هذا التعدد الأسلوبي أحد سمات الإعجاز البياني لهذا النص الحكيم، حين تتجلى تعدديته في الخطاب الواحد للمخاطب الواحد . وفق تعددية الغرض . فعلى سبيل المثال يأتي الخطاب القرآني للرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – في مقام التكليف مبدوءًا بـ (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ) (التحريم:٩)، وفي مقام العتاب الرباني بالإسناد للغائب – أحيانًا– (عَبَسَ وَتَوَلَّى) (عبس:١) أو المخاطب أحيانًا أخرى – دون التصريح بالاسم (عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ)(التوبة:٤٣) إلى غير ذلك من مدلولات تعددية الاستعمال اللغوي للنص القرآني ـ لا يتسع المقام لتناولها . إذ ليست من مهام تلك الدراسة . ولكن اقتضت الضرورة الإحالة عليها، والتأسيس عليها.

وتعدُّ "**الرواية**" أحد مظاهر الاستعمال اللغوي، وتختص عن غيرها من الأجناس الأدبية بأنها تتخذ الحكي أساسًا لها، و تعتمد القص رُكنًا أصيلًا فيها، و تتعدد مجالات الرواية بتعدد مقاصدها وأهدافها، ما بين (اجتماعية / إنسانية / تاريخية / أدبية / واقعية /.....) إلى غير ذلك من أثواب هذا الفن القائم على دعامتين أساسيتين يصعب الفصل بينهما، الدعامة الأولى : المجتمع: إذ ثمة علاقة وطيدة بين الرواية والمجتمع فالرواية – على اختلاف أنواعها – لونٌ من ألوان تداولية الحكي التي تخضع في فكرتها لمتغيرات المجتمع وتناقش أحواله ومشكلاته باستخدام السرد الحكائي من ناحية والإفادة من معمارية الفن الروائي من ناحية أخرى.

ويكشف "لوسيان جولدمان" عن بعض مظاهر هذه العلاقة الوطيدة بقوله: "مالا يمكن أن نصدقه أبدًا أن يكون شكل أدبي(جنس)على مثل هذه الدرجة من التعقيد الجدلي أعيد اكتشافه مرارًا، وعلى مدى قرون لدى كُتاب مختلفين جدًا، وفي بلدان شديدة

الاختلاف وأصبح شكلًا متفوقًا على المستوى الأدبي.... دون أن يكون هناك تماثلًا، أو علاقة لها معنى بين هذا الشكل (الجنس) وأكثر الجوانب أهمية في الحياة الاجتماعية (٥).

أمَّا الدعامة الثانية فهي الدعامة الجمالية، فالقاص يمنح قصته مضامين تشويقية و إثارية ينفذ من خلالها إلى المتلقي، وهاتان الدعامتان(المجتمع / الجمالية) يصعب الفصل بينهما، أو افتراضية بنائية اعتماد العمل الروائي على أحدهما دون الآخر؛ إذ من المحال أن تكون الجمالية سمة للقص دون اجتماعيته أو العكس، وعلى امتداد تطور هذا الفن لم يتأثر المزج بينهما ،ولكن تعددت التقنيات وتنوعت الأشكال الروائية دون المساس بهما .

ويعدُّ العنوان العتبة الرئيسة للنص الروائي، وبابه الأصيل الذي يلج منه القارئ إلى فصول العمل، ويتسلل من خلاله إلى أحداثه ومساربه، وهو الصوت الخفي القادم من بين الكتب المتراصة والمؤلفات المختلفة المشارب ليصكَّ أذن القارئ دون حرف مسموع، وهو مجموعة الحروف أو الكلمات أو التراكيب – على اختلاف الطول والقصر – التي تشكل خطابًا مشفَّرًا، أو رموزًا مبهمة تستحثُ القارئ على فك ألغازها وتُغريه ببحث مدلولاتها .

إنَّ ثمة علاقة تواصلية ينشؤها العنوان، وثمة مجال تداولي يحققه وأفعال إنجازية يخلقها ونداءات يصدرها من خلال معناه ومبناه، وهو ما يجعل من دراسته ركنًا أصيلًا في دراسة تداولية العلاقة اللغوية بينه وبين العمل الموسوم به، فضلًا عن دراسة أبعاده ومضامينه الأخرى، مع الأخذ في الحسبان أنه مكون أساسي في سُلَّمية الخطاب التواصلي.

وتحاول هذه الدراسة – جاهدة– دراسة البُعد التداولي والسيميائي لظاهرة النفي في العنوان الروائي، واختارت بعض روايات الكاتب الكبير إحسان عبد القدوس مجالًا

لدراسة هذه الظاهرة ،وإلقاء الضوء على بعديها التداولي والسيميائي ،منطلقة من مُسلَّمة بديهة في التحليل مفادها: أنَّ مقصدية الخطاب اللغوي تمثِّل أهم محددات الاختيار في العمل الأدبي بعامة والروائي بخاصة؛ لأن الخطاب المكتوب خطاب مدبَّر يحوز – في الأغلب – على عناية المرسِل وانتقائيته ومراجعته وتدقيقه، وإن كان هذا الأمر ينسحبُ بعامةٍ على العمل الأدبي ،فإن مقبوليته في اختيار العنوان الروائي تكون ـ من باب أولى ـ أكثر مصداقية وأدق في التناول؛ لما يحاول به القاص من تحميل العنوان كثيرًا من الوظائف التشويقية والتمهيدية والتلخيصية والدلالية والإغرائية والتسويقية، وهذه الوظائف تكشف عن مقاصد تداولية تحمل أبعادًا سيميائية، تدعوه في كثير من الأحيان إلى الإلحاح على تركيب معين أو نمط لغوي بذاته، أو الخروج من الحقيقة إلى المجاز، أو الفرار من المطابقة إلى الترخص باستخدام عوارض (الحذف / الزيادة / العدول / التقديم و التأخير.....) أو التمرد على معيارية القاعدة، والاتكاء على السياق الاجتماعي أو الخلفية الثقافية للمتلقي، وهو ما ستحاول هذه الدراسة إلقاء الضوء عليه من خلال دراسة البعد التداولي السيميائي لظاهرة النفي في العنوان الروائي لدى إحسان عبد القدوس .

حدود البحث:

تجلَّت ظاهرة النفي في أعمال الكاتب إحسان عبد القدوس في ثمانية عشر عملًا روائيًا، اقترنت فيها هذه الظاهرة بظواهرأخرى، مثل (النهي/الاستفهام) واختارت الدراسة ثمانية نماذج للكشف عن الوظائف التداولية والأبعاد السيميائية لهذه الظاهرة حيث اشتملت هذه العناوين الثمانية على صور متعددة تموقع فيها النفي مواقع متعددة في العنوان الروائي، أنتجت ـ بدورها ـ دلالات تعالقية مع المضمون الروائي بالإضافة إلى محاولة الكشف عن الوظائف التداولية لهذه الظاهرة المهمة اللافتة الحضور في بعض العناوين الروائية لدى الكاتب، ويبرز فيها تحميله العنوان الروائي بأكبر قدر من

الحمولات الدلالية ،مما جعل من العنوان – لديه – نصًا مكثفًا تراكمت فيه العديد من الدلالات، وأثار العديد من التساؤلات في مرحلة التلقي لدى القارئ والناقد على حد سواء، وفتح آفاقًا متسعةً من المساحات التأويلية والأبعاد السيميائية التي تكشف عن مقصديته الواضحة لتوظيف تلك الظاهرة بأدواتها المختلفة وموقعياتها المتعددة .

"ويؤسِّس العنوان في الخطاب الروائي موقعه الخاص والمتميز، انطلاقًا من بنيته التركيبية والسيميائية، كما يعلن عن وجوده بصفته نصًا مصغرًا مولِّدًا لسننه الخاص وباعتباره مكونًا متميزًا في سياق فضاء صفحة العنوان الزاخرة بالعلامات اللغوية والتشكيلية، ولا يفترض بالعنوان الاستقلال التام عن النص، فهو عنصر من العناصر المكوِّنة للخطاب الروائي برمته ، وهو متعدد القيم الجمالية والأبعاد الإيديولوجية في إمبراطورية علم العلامات التي لا حدود لها "(٦)

وجاءت مضامين الروايات . محل التطبيق . معززةً لهذه الدلالات التي حملتها ظاهرة النفي في العناوين، في تساوقٍ مجدولةٍ أطرافُه بمهارة منح الوظيفة الأساسية للنفي طاقات سيميائية خاصة، من خلال قراءته وفق وظائفه التداولية في العنوان وهذه الروايات هي : "لا أنام /لا شيء يهم / لا... ليس لجسدك / رائحة الورد وأنوف لا تشم / آسف لم أعد أستطيع، وغابت الشمس ولم يظهر القمر/ لن أعيش في جلباب أبي/ قلبي ليس في جيبي ".

منهج الدراسة:

ارتضت هذه الدراسة المنهج السيميائي، الذي يتناول العنوان بوصفه علامة لغوية والسيميائية هي :"ذلك العلم الذي يدرس بيئة الإشارات وعلائقها والرموز في هذا الكون، وكذلك توزعها ووظائفها الداخلية والخارجية"(٧)، ويعرفها (إمبرتو إيكو):"أنها كل ما يمكن اعتباره إشارة(٨)".

وقد أصبحت السيميائية حقلًا معرفيًا جديدًا لا يختلف عن كثير من الحقول المعرفية الشمولية التي عرفها الفكر الإنساني قديمًا (الفلسفة) وحديثًا (التاريخ) وأصبحت السيميائية سبيلًا معرفيًا لولوج كثيرٍ من أبواب الدراسة والبحث اللغوي؛ إذ إنَّه مفهوم يشمل القدرة على الوصف والتفسير والتجريد، فضلًا عما يوفره من إمكانات للفهم والتحليل".(٩)

ويرى جميل حمداوي أن السيميائية هي :"ذلك العلم الذي يبحث في أنظمة العلامات لغوية كانت أو غير لغوية، وهي ثلاثة أنواع: الأيقون والإشارة والرمز، وقد أولت السيموطيقا أهمية كبرى للعنوان باعتباره مصطلحًا إجرائيًا ناجعًا في مقاربة النص الأدبي، ومفتاحًا أساسيًا يتسلح به المحلِّل للولوج إلى أغوار النص العميقة قصد استنطاقِها وتأويلِها، ويستطيع العنوان أن يقوم بتفكيك النص من أجل تركيبه عبر استكناه بنياته الدلالية والرمزية، وهكذا فإن أول عتبة يطؤها الباحث السيمولوجي، هي استنطاق العنوان، واستقراؤه أفقيًا وعموديًا"(١٠).

<u>إجراءات الدراسة :</u>

تنطلق هذه الدراسة من قراءة العنوان الروائي – في الأعمال المختارة للتحليل – بمنظورِ تحليلي نحوي يكشف عن مدلولاتها التركيبية، ويحاول إبراز وظائفها التداولية وأبعادها السيميائية لتوظيف ظاهرة النفي فيها، وإلقاء الضوء على الدلالات الناجمة عن اقتران هذه الظاهرة بظواهر أخرى في العنوان الروائي، وتجدر الإشارة إلى ما يتسم به هذا الموضوع من اتساعٍ وتفرعٍ وجدة يجعل من محاولة الإحاطة بمشمولاته والتطرق لكافة تفاصيله هدفًا يصعب تحقيقه؛ إذ تحاول الدراسة السير في مضمارين أحدهما : يعتمد القراءة النحوية الدلالية أساسًا للتحليل، والآخر: يعتمد القراءة النصية التداولية للمضمون مرجعًا للتأويل .

الدراسات السابقة:

لم تُسبق هذه الدراسة – فيما أظن – بدراسات تناولت هذا الموضوع في نقد وتحليل العنوان الروائي بعامة لدى إحسان عبد القدوس، فضلًا عن تحليل إحدى ظواهره، بيد إنَّ هذا الأمر لا يُلغي وجود دراسات سابقة تناولت تحليل العنوان الروائي في الرواية العربية بعامة على مستوى التنظير، أو على مستوى التطبيق، ومن هذه الدراسات – على سبيل المثال لا الحصر :

١/ دراسة محمد عويس[١١] "العنوان في الأدب العربي، النشأة والتطور " ١٩٨٨م. وهي دراسة ارتضت المنهج التاريخي أساسًا لها، حيث اهتمت بتتبع التطور التاريخي للعنوان عبر العصور والأجناس الأدبية، دون التطرق للكشف عن الجوانب الفنية والجمالية للعنوان .

٢/ دراسة محمد فكري الجزار[١٢]"العنوان،وسيموطيقيا الاتصال الأدبي" ١٩٩٨م وهى دراسة تأسيسية فنية، ومحاولة مازجة بين النظرية و التطبيق .

٣/ دراسة عبد المالك أشهبون[١٣]"العنوان في الرواية العربية"٢٠١١م، وهي من أكمل التجارب النقدية في دراسة العنوان الروائي في الساحة العربية ،حيث تنطلق من منهجية تحليلية نقدية في إطار من التوازن بين الجوانب الفنية للعنوان ،فضلًا عن الدقة في تحرير المصطلحات .

ومن الدراسات على المستوى التطبيقي :

١/ دراسة عبدالحكيم محمد صالح، الموسومة بـ"العنوان وتحولات الخطاب في الرواية اليمنيَّة"، منشورات النادي الأدبي الثقافي بجدة، مج١٨،ع٦٨،٦٩،مايو ٢٠٠٩م، وتضمنت الدراسة: أنماط الرواية اليمنية (الواقعية/الحديثة)وشعرية العنوان ومفارقته، والتنافر الدلالي في الرواية اليمنية الحديثة.

٢/ دراسة المدني بورجيس، الموسومة بـ" تداولية النفي والإثبات في اللغة العربية "مجلة البلاغة والنقد الأدبي،ع٢، شتاء٢٠١٥م، وتضمنت دراسة مصطلحي (النفي/الإثبات) وتطورهما من المعنى اللغوي إلى الدلالة الاصطلاحية، والمقاربة النحوية لمسائل الإثبات والنفي، ودراسة الإثبات والنفي في سياق الإنجاز التداولي.

٣/ دراسة إبراهيم محمد عبد الله ، الموسومة بـ " تداولية العنوان في الخطاب الصحفي الليبي: الصحافة الإلكترونية نموذجًا ،مجلة بحوث الاتصال، جامعة الزيتونة، كلية الفنون و الإعلام، ع٢ / ديسمبر ٢٠١٧م، وتضمنت العلاقة بين العنوان والصحافة الإلكترونية من خلال التطبيق على بعض العناوين الصحفية في الصحف الليبية.

٤/ دراسة عماد خالد عبد النبي، الموسومة بـ" تجليات العنوان في الرواية الليبية دلالات التركيب وجماليات التأويل ،مجلة شمالجنوب ،جامعة مصراته ،كلية الآداب قسم اللغة الفرنسية ع١١، يونيو٢٠١٨م ، وتضمنت دراسة العنوان الروائي من حيث المفهوم والأهمية، ودراسة البُعد الدلالي للعنوان في الرواية الليبية.

٥/ دراسة عالية مبارك حسين، الموسومة بـ"سيميائية العنوان في رواية الجنة العذراء، مجلة الدراسات العربية، جامعة المنيا، كلية دار العلوم، مج٤١،ع١ يناير٢٠٢٠م.

هذه الدراسة:

تمتاز هذه الدراسة . عن سوابقها . باختيار ملمح التحليل السيميائي التداولي لإحدى الظواهر النحوية (النفي) من خلال التطبيق على بعض روايات إحسان عبد القدوس التي تتمظهر فيها الوظائف التداولية لهذه الظاهرة، وهو حقل تطبيقي لم يُسبق ولوجه من الباحثين؛ إذ تقع العناوين الروائية لإحسان عبد القدوس في بؤرة الانتقاء والقصد دون الخضوع للعلاقات السياقية الضابطة لدلالاتها المائزة.

وهذه الانتقائية تكشف عن أواصر الصلة بين تراكيب العناوين وعناصر العمل الأدبي لديه، مع الأخذ في الاهتمام نهوض تركيبية العنوان على انتقائية أخرى خاضعة

للقواعد اللغوية المعيارية، وهذا ما يُغري بالبحث في هذه الجدلية الناشئة بين لغة العنوان والنظام اللغوي العام، وهي جدلية التقاء لا انفصال، فالعلاقة بينهما من قبيل علاقة الخاص بالعام ؛إذ إنَّ مدلولات العناوين وإحالاتها وتداولياتها تختلف – بصورة قوية – عن مدلولات وإحاليات وتداوليات النظام اللغوي، فتداولية لغة العناوين – على سبيل المثال – تنطلق إلى العمل ذاته الذي يحمل العنوان، وإنجازية الأفعال ومدلولات التراكيب في العنوان وتحولات الخطاب تظل مُبهَمة حتى تكشف عنها لغة العمل الأدبي الموازية، بينما يختلف الأمر في غير العنوان إذ تسير هذه المسارات في اتجاهٍ معاكسٍ بأثرٍ من الامتداد اللغوي داخل سياق لغوي خاص، ومن ثَمَّ فإن (لغة العنوان) لا تخضع – في الأغلب – لمعيارية اللغة الأصلية، وهذا ما يجعل من هذه الدراسة مُدخلًا مغايرًا للتحليل اللغوي التداولي للغة العنوان .

وتأتي أهمية هذه الدراسة – في اختيارها العنوان الروائي للكاتب إحسان عبد القدوس ميدانًا للتحليل، حيث الخصوصية السيميائية التداولية لتراكيب العناوين في أعماله ـ بوجه عام ـ وفي رواياته بوجه خاص، وفي رواياته المشتملة على ظاهرة النفي بوجه أشد خصوصية؛ فقد تميزت العتبات العنوانية لديه بالإثارة والغموض والتشويق معتمدة المعطيات التي أتاحها النظام اللغوي له، فتارة تطول الجملة العنوانية لديه وتارة تقص، وأحيانًا يعمد إلى توظيف إستراتيجيات الخبر أو الإنشاء أو كليهما معًا فضلا عن تنوُّع تراكيب العنوان بين الاسمية المنفية أو المثبتة، والفعلية ذات الزمن الماضي أو الممتد أو المستقبل، وهذه الخصوصيات استلفتت انتباه النقاد لاختيارية العناوين، فوصفوه بأنه "أسس لمدرسة جديدة في كتابة العناوين، لطالما حاول بعض منتقديه من النقاد والأدباء أن يستلهموها رغم انتقادهم له .[١٤]

*** أقسام الدراسة:**

اقتضت طبيعة الدراسة أن تأتي في مقدمةٍ، وتمهيدٍ، وأربعة مباحث، وخاتمةٍ تناولت نتائج الدراسة، وقائمةٍ بالمصادر والمراجع، أمَّا المقدمة فتناولت طبيعة الدراسة ومنهجها، وموقفها من الدراسات السابقة، وأمَّا التمهيد فاشتمل على مداخل مفاهيمية لمصطلحات الدراسة، وجاء المبحث الأول بعنوان: النفي في العنوان الروائي باستخدام(لا)، وجاء المبحث الثاني بعنوان: النفي في العنوان الروائي باستخدام الأداة (لم)، وجاء المبحث الثالث بعنوان : النفي في العنوان الروائي باستخدام الأداة (لن) وجاء المبحث الرابع بعنوان: النفي في العنوان الروائي باستخدام الفعل (ليس) وتناولت الخاتمة أهم نتائج الدراسة التي انتهت إليها ، وذُيِّلت الدراسة بقائمة المصادر والمراجع التي اعتمدتها .

أولًا : التمهيد

(مصطلحات الدراسة/ مداخل مفاهيمية) .

ترتكز مصطلحات الدراسة على المداخل الآتية :

أولًا : السيميائية التداولية: وهي إحدى النظريات الدلالية التي عُنيت بعلاقة التركيب بالدلالة مثل (النظرية السياقية / نظرية الرصف (المصاحبة) / نظرية السياق في ضوء نظرية أفعال الكلام)وتُسمى النظرية التداولية بمسمياتٍ عدة، مثل : الذرائعية والمقاصدية، "غير أن التداولية هي الأصح، والأدق والأقرب إلى الاستعمال العربي للفظة" .(١٥)

ومن أهم مباحث السيميائية التداولية اللسانية Linguistic Pragmatics دراسة آلية وصول المخاطب إلى المعنى الضمني الذي يتغياه المتكلم، من خلال تحليل النصوص تحليلًا شاملًا ينطلق من المكون اللفظي Verbal Component بما يحويه من جُملٍ وتراكيبٍ منطوقةٍ تخضع لسياقات الاستعمال – إلى المكوِّن غير اللغوي بما يحويه من

مصاحباتٍ لغوية وغير لغوية تُرافق نطق المتكلم، وظواهر صوتية مثل: النبر/ التنغيم/الحركات/ معدل الأداء الكلامي Tempo والحركات الجسيمة (السيميولوجيا) وغير ذلك.

ويرى التداوليون أنَّه لابد من معرفة ما "ينويه المتكلمون من مقاصد معقدة موجهة نحو مستمعيهم؛ إذ إنَّ الدلالة الخاصة بالألفاظ والعبارات تتعلق – من دون شك – بالقواعد والاتفاقات المتواضع عليها تعلقًا كبيرًا،"غير أن الطبيعة العامة لمثل هذه القواعد والاتفاقيات لا يمكن أن تُفهم في آخر الأمر إلا بالرجوع إلى مصطلح قصدية التواصل"[١٦] لمعرفة دلالات الكلام المنطوق .

وباستقراء التعريفات المتناثرة في كتب التداوليين، وما أثير حول هذه النظرية من دراسات قديمة وحديثة، يمكن القول: إنَّ "النظرية التداولية هي نظرية استعمالية . في المقام الأول؛ لأنها تدرس اللغة في سياق استعمال الناطقين بها، كما أنها . من ناحية أخرى نظرية تخاطبية تعالج شروط التبليغ والتواصل الذي يقصد إليه الناطقون من وراء الاستعمال للغة"[١٧]، وتعتمد التداولية كذلك على المتلقي؛ إذ إنها" تهتم بعلاقة العلامة بمؤولها في الوقت الذي تبحث فيه الدلالة عن علاقة العلامة بمدلولها"[١٨]

بيد أن ثمّة منحى جديدًا في دراسة النصوص يسعى لتوظيف العلاقات الناشئة بين ثلاثية (النحو/الدلالات/ التداولية) [١٩] في سبر أغوار مقاصد النص وقراءته بصورة أكثر جدة، وهو ما اصطُلح على تسميته بـ (السيميائية التداولية) التي تسعى إلى تفعيل النشاط اللغوي والاهتمام بوظائفه، ويعدُّ " شارل موريس" صاحب الفكرة الأصيلة في التقسيم الثلاثي بين حقول علم العلامات (النحو/ الدلالة/ التخاطبية أو التداولية) [٢٠] التي انطلق منها "شارل موريس" في جعله التداولية جزءًا من السيميائية عندما تعرَّض لمعالجة الصلة بين العلامات ومستخدميها في كتابه " أسس نظرية العلامات اللغوية"

عام ١٩٣٨م، وأفاض في الحديث عمَّا يمكن أن يصنعه المتكلم باستخدامه اللغة"[٢١]
وقد وضع مخططًا للسيميائيات التداولية من خلال العلاقة بين فروعها الثلاثة:

١/ النحو(علم التركيب)الذي يهتم بدراسة العلاقات الشكلية بين العلامات.

٢/ الدلالة (الدلاليات)، وتهتم بدراسة علاقات العلامات فيما بينها وبين الأشياء، أي ارتباطها بالمعنى.

٣/ التداولية ، وتهتم بدراسة ارتباط العلامات بمؤوليها أو مستعمليها، وضبط استعمالها في المقام أو دراسة العلاقات بين المرسل أو المستقبل وعلاقتهما بسياق الاتصال"[٢٢]

ويمكن القول : إنَّ هذه الأركان الثلاثة تمثل دعائم السيميائية التداولية، وتحاول هذه الدراسة ـ من خلال منطلقات هذه النظرية ـ النفاذ إلى مدلولات النفي في العناوين الروائية لإحسان عبد القدوس، وقراءة هذه المدلولات الخاصة في ضوء افتراضية السيميائية التداولية التي ينهض بها العنوان الروائي، بوصفه ركيزة أساسية في التواصل بين المبدع والمتلقي .

ثانيًا (النفي): تعدُّ قضية النفي من أهم القضايا التي تؤسس لمقصدية التواصل في النحو العربي، وقد أسس سيبويه دعائم هذه القضية عندما تعرض لها بقوله : "إذا قال "فعل" ،فإن نفيه لم يفعل" ،وإذا قال : "قد فعل" ،فإن نفيه" لمَّا يفعل" ،وإذا قال : لقد فعل ،فإن نفيه "مافعل" ،لأنه كان قال : والله لقد فعل ،فقال : والله ما فعل ،و إذا قيل هو يفعل ،أي هو في حال فعل ،فإن نفيه ما يفعل ،وإذا قال :هو يفعل ولم يكن الفعل واقعًا فنفيه : لا يفعل ، وإذا قال : ليفعلن فنفيه : لا يفعل ،كأن قال : والله ليفعلن ،فقلت والله لا يفعل ،و إذا قال سوف يفعل ،فإن نفيه : لن يفعل"[٢٣].

وهذا الذي ذكره سيبويه في تأصيله لظاهرة النفي يمكن قراءته في ضوء أحد معطيات الدرس التداولي، وهو الافتراض المسبق Persupposition "الذي يهتم بدراسة علاقة العلامات بمفسريها؛ إذ إنَّ قولة سيبويه: "إن قال : إن نفيه، كأن قال:"هو افتراض

تخيلي لحادثة تواصلية يقصد أحد طرفيها نفي ما أوجبه، ونقض ما أبرمه من أقوال، وبقدر قوة التأكيد تكون قوة النفي، فالعلاقة بينهما علاقة طردية.

ويرى التداوليون "أن المتكلمين يفترضون أن مستمعيهم عارفون ببعض المعلومات ولا تُذكر هذه المعلومات كونها تُعامل على أنها معروفة، ولذا فإنها تعتبر جزءًا مما يتم إيصاله دون قوله "[٢٤]، وهذا المسكوت عنه الذي يطلق عليه التداوليون (الاقتضاء التداولي) [٢٥]يمكن قراءة نص سيبويه المؤسِّس لظاهرة النفي في ضوئه، فيما يتعلق بمسألة "النفي الضمني" الذي يُفهم من سياق الكلام دون أن يصرح المتحدث به .

وتأثيل سيبويه لظاهرة النفي يجعلها تضرب بقدمٍ راسخة في نظرية التواصل التداولي وأبعادها السيميائية؛ إذ يكشف سيبويه عن مصاحبات لغوية تتعلق بطبيعة السائل الذي يتشكك في الإجابات المقدمة له، مما يدفع المتحدث لاستغلال إمكانيات العربية في التدرج مستويات النفي ودحض الفكرة، فعلى سبيل المثال تأتي صيغتا (إن فعل / لم يفعل) لإزالة التوهم لدى السائل، بينما صيغة (لمَّا يفعل) لم تستخدم للجواب ابتداءً بل تؤجِّل الحُكم للسائل حول نفي الخبر أو دحض الرأي، فضلًا عن إشراك المتردد في التحقق من عدم وقوع الحدث في الماضي أو الفترة الزمانية التي يدور فيها الحديث.[٢٦]

وهكذا فإن ظاهرة النفي تعتمد – بصورة أساسية – على معطيات الموقف التواصلي بين أطراف العملية الكلامية ،ولكل موقف تراكيبه اللغوية الناهضة بمعطياته، وأبعاده التداولية السيميائية المميزَّة التي يمكن قراءة تلك الظاهرة فيه، فهي ظاهرة تداولية تواصلية – في الأساس – إذ إنِّها تنطلق من فكرة الإيجاب القارَّة في الذهن لدى المستمع حول قضيةٍ ما، ويحاول المتحدث نقض أركان تلكم الفكرة من خلال استخدامه للمعطيات اللغوية، بيد أنَّ استخدامها أساسًا للحوار – كما هو الحال في موقعيتها في العناوين الروائية – يجعل منها نصًا مؤسسًا للتواصل، يقوم على افتراضية

وجود نص سابق مُثبت ليقوم هذا النص المنفي بنقضه ونفيه ،فعلى سبيل المثال في العنوان الروائي "لا.. ليس جسدك" وهو أحد العناوين الروائية لإحسان عبد القدوس[٢٧] نجد ثمة معطيات تداولية يمنحها النفي في العنوان الروائي، منها – على سبيل المثال:

١/ وجود متحدث: وهو الراوي، على الرغم من عدم تصريحه بالملفوظ واكتفائه بالوسم فقط ،ولكن نسبة الرواية إليه تجعله محتلًا الركن الأصيل من أطراف العملية التواصلية.

٢/ وجود متلقي: وهذا المتلقي قد يكون كاف الخطاب الواردة في العنوان (جسدك) بما تحمله من دلالات خاصة – إن كانت القضية ذاتية – أو دلالات عامة – إن كانت القضية مجتمعية ،أو دلالات أكثر عمومية – إن كانت القضية إنسانية، وهذه المقصدية متعددة المستويات لم تكن لتتحقق لولا قراءة العنوان من هذا المنظور التداولي .

٣/ افتراض وجود حوار ذي طرفين، أو سؤال مطروح يؤسس لهذه الإجابة المبدوءة بالأداة النافية"لا"، وكأن ثمة من يسأل الآخر، أو يطرح التساؤلات على ذاته: هل هذا جسدي ؟ هل أمتلكه؟ هل أستحقه؟

إنَّ هذه التساؤلات لم يكن افتراضها مباحًا لولا ذرائعية النفي في العنوان، التى تشابكت بمعطيات تداولية سيميائية مع السؤال المفترض وجوده ـ وفق مبدأ الافتراض المسبق(وهو مبدأ أصيلٌ في الدرس التداولي) وتَعزز هذا النفي باستخدام أكثر من أداة (لا / ليس) وهو ما يتفق مع نظرية سيبويه لهذه القضية في كونها تداولية تواصلية في نشأتها واستخدامها .

ثالثًا : العنوان الروائي

يمثل العنوان عتبة النص الأولى، والعلامة اللغوية الأساسية المفصحة عن جنس العمل الأدبي، والمحددة لاتجاهه، كما أنَّه المكوِّن الرئيس لاتجاهات الكاتب داخل

أرجاء النص، وتعدُّ انتقائية العنوان المناسب للعمل مغامرة كتابية محفوفة بالكثير من التحديات لدى المبدع، وجدلية متشابكة الأطراف، يحاول من خلالها اجتذاب القارئ لعالمه، فضلًا عن الوظائف العديدة التي ينهض بها العنوان، ومنها على سبيل المثال لاالحصرالوظائف(التشويقية/التمهيدية/الدلالية/التلخيصية/الإغرائية/التسويقية/...../.. ...../...../).

وبقدر براعة الكاتب في اختيار العنوان يتحقق الأثر الدلالي المراد منه؛ إذ يمنح الكاتب العنوان صفات عديدة، وزخمًا من الوظائف الدلالية لتحقيق المردود القوي في نفس المتلقي، مثل:(التكثيف / تراكم وتنوع الدلالات / اتساع الفضاء الدلالي/ تعدد الإيحاءات / الرمزية / .....) إلى غير ذلك من الوظائف .

وإن كان الطرح السابق ينسحب على العناوين – بعامةٍ – فإن العنوان الروائي يتمايز بموائز تجعله أكثر خصوصية وأعمق بحثًا في التناول؛ إذ "إنَّ النظر للرواية – من خلال المنظور السيميائي يجعلها ذات مسارات مركبة لعدة ملفوظات" .[٢٨]

والعنوانُ يحتلُّ المرتبة الأولى في قائمة تلك الملفوظات، وإن كانت موقعيته مرتكزة في مساحة موازية للنص الروائي، ولكنه في الوقت نفسه – تربطه علاقة دلالية بها فهو يمثل العتبة الأولى لحكايته، والتي يلج المتلقي من خلالها إلى العمق الحكائي للنص، وهو مُحمَّل بمضامين توجهه حيث يريد الكاتب من تأويل،"والعنوان يُعدُّ علاقة نصية تحمل مضامين ودلالات أوسع من تركيبها اللغوي؛ ذلك لأنه يحمل بُعد الإيحاء أكثر من كونه جملة إخبارية تلخِّص المضمون؛ لأنه عبارة لغوية مكثفة تتراكم فيها الكثير من الدلالات.[٢٩]

والعنوان – من وجهة النظر التداولية – "يمثل مرسَلَة Messageصادرة من مرسِل Adressإلى مرسَل إليه Adressee وهذه المرسلة محمولة على أخرى هي "العمل" فكل من العنوان وعمله مرسلة مكتملة ومستقلة"[٣٠] والعنوان – وفقًا لهذه الرؤية –

يحقق خاصية القصدية من طرفين، تظهر الأولى في انتقائية المرسِل الذي يمثله المبدع لصوغ عنوانه من بدائل متعددة، وتأطيره له بأطره الخاصة المحددة سلفًا في مخيلته، ومنحه دلالاته وموائزه المقصودة.

وتظهر الأخرى لدى (المستقبِل/المتلقي) الذي ينجذب للعمل بأثر من قراءة العنوان فيصطفيه من عناوين كُثُر و بدائل متعددة؛ لأنَّه يحقق غرضًا خاصًا لديه، سواء أكان غرضًا ذاتيًا أم سيكولوجيًا أم اجتماعيًا أم غير ذلك من الأغراض،" فضلًا عن أن العنوان باعتباره قصدًا للمرسِل "يؤسِّس **أولاً:**لعلاقة العنوان بخارجه، سواء أكان هذا الخارج واقعًا اجتماعيًا عامًا أم سيكولوجيًا، **وثانياً:** لعلاقة العنوان ليس بالعمل فحسب بل بمقاصد المرسِل من عمله أيضًا، وهي مقاصد تتضمن صورة افتراضية للمستقبِل على ضوئها – كاستجابة مفترضة – يتشكل العنوان لا كلغة، ولكن كخطاب" .[٣١]

ويمكن أن نخلُص مما سبق إلى أن العنوان يمثل : "علاقة لغوية تتموقع في واجهة النص؛ لتؤدي مجموعة من الوظائف تخص أنطولوجية النص ،ومحتواه وتداوليته في إطار سوسيو – ثقافي – خاص بالمكتوب، ومن ثمَّ فهو علاقة سيميائية تمارس سلطة التدليل على النص، وتتموقع على الحد الفاصل بين النص والعالم، ليصبح نقطة التقاطع الإستراتيجية التي يعبر منها النص إلى العالم، والعالم إلى النص، لتنتفي الحدود الفاصلة بينهما، ويحتاج كلٌ منهما الآخر"[٣٢]

رابعًا : روايات إحسان عبد القدوس

لكي يحقق المنتج الأدبي أثرَه المنشود، لابد أن يخلق لنفسه المجال الذي يتحرك فيه ويهيئ المناخ الذي يستوعبه، ويكون سابقًا لمعطيات العصر التي لا تُلحق، لتأتي الأرض التي جاوزها وقد تهيأت بذورها لثورة فكرية، وهذا ما فعله قلم إحسان عبد القدوس عندما اختط لنفسه طريقًا مغايرًا في الكتابة الروائية، فقد استفاد إحسان من معطيات الواقع في موضوعاته الروائية، إذ تناول كل أحداث عصره، وما خلفته

ركامات الثورة والنصر والهزيمة وتقلبات المجتمع وانعكاسات التغيرات على الأفراد لقد أفاد إحسان من ذلك كله، ورأى فيه معطى قابلا للنفي وإعادة النظر من جديد فكانت لديه الشجاعة في المكاشفة والمواجهة.

لم يخلق إحسان أدبًا جديدًا، ولكن الجدة كانت في هذا الانكشاف الذي جاهر به المجتمع، وهو ما جعله مثارًا للنقد، فقد قال إحسان في حوارٍ أجراه مع الأستاذ كامل الشناوي:" إنَّ النقاد يتعقبونه بالهجوم والتجريح، فهم يتهمونه بأنه يعمد في قصصه إلى الإثارة الجنسية، وأنه بهذه الطريقة استطاع أن يجمع حوله كل القرَّاء المراهقين وهؤلاء النقاد يكيلون له الاتهامات جُزافا، فكثيرون منهم لم يقرؤوا له عملًا كاملًا ومع ذلك استباحوا لأنفسهم أن يرموه بشرِّ التُّهم."(٣٣)

والحقيقة أنَّ قلم (إحسان عبد القدوس) استطاع توظيف النفي في عناوينه الروائية توظيفًا سيميائيًا تداوليًا، كشف به عن مقصدية إبداعه ومنح أسلوب النفي سُلطة خاصة وقف من خلالها عند المسافة الفاصلة بين حدي القديم والجديد، أو بمعنى أدق استطاع من خلال أبعاده السيميائية التوفيق بين التغيير والاستمرار، واختار لنفسه الموقع الروائي الذي لا يكرر فيه نفسه ولا يُغلق دائرة الإبداع على طموحه ونزوعه، وهذا يظهر من خلال أعمال الروائية التي تنفصل موضوعاتها عن بعضها انفصال تكامل لا انفصال تباين أو اختلاف.

ومن هذه النظرة لأعمال إحسان عبد القدوس، يمكن القول: إنَّ إحسان عبد القدوس لم ينسلخ من قوة الموروث الاجتماعي ولم يستطع الانفكاك من قبضته؛ إذ إنَّ الموروث الثقافي المصري يحمل سمات جوهرية بمنزلة الروح من الجسد، فهي ثوابت وقوانين لا يمكن تغييرها أو تبديلها، ومن ثمَّ اختار إحسان أن يقف منها موقف النافي لبعضها من جهة والمعترف بأصالتها وقيمتها من جهة أخرى، يظهر ذلك في عناوين رواياته المتَّخذة من أسلوب النفي تركيبًا أصيلًا فيها، والتي تعبِّر عن القلق بين

الأصالة والموروثية وبين الرؤية المتمردة له، مثل رواياته **(لن أعيش في جلباب أبي/ آسفة لم أعد أستطيع/ يا ابنتي لا تحيريني معك/ لن تعود أيام زمان/ لا تتركوني هنا وحدي)** وغيرها من العناوين التي تحمل معادلات لغوية نافية متمردة، مستخدمة إستراتيجية النفي أو النهي وكلاهما أسلوب يستخدمه المبدع ليحقق به غرضا تفصح عنه إبداعاته، وهذا يجعلنا نقف إزاء حقيقة مهمة ، وهي أن النفي لم يكن ظاهرة سانحة لدى إحسان عبد القدوس ولم يأت عفو الخاطر أو ومضة لغوية ظهرت في بعض عناوينه ثم خبت جذوتها بعد فترة، ولكنه كان تيمةً حاضرة في الكثير من أعماله.

وتكشف العناوين الروائية ـ المشتملة على أدوات النفي ـ لدى الكاتب إحسان عبد القدوس عن دلالاتٍ تداولية مقصدية ، يمكن إجمالها فيما يلي:

١/ التمرُّد: تمتدُّ المقصدية التداولية لهذا المفهوم إلى مدلولات التجاوز والمعارضة والاحتجاج، والدخول من خلال العمل الروائي إلى منطقة المحظور، والحديث بقلمه عن المسكوت عنه، سواء أكان هذا المسكوت عنه يحمل أبعادًا سياسيَّة أو أخلاقيَّة أو اجتماعيةً، والسباحة والسياحة في التحليل السيميائي التداولي لعناوين هذا المنجز الإبداعي يقودنا إلى عوالم محظور الدخول إليها، أو الولوج من أبوابها، بأثر من السلطة السياسية أو الأعراف الاجتماعية أو التقاليد والموروثات أو الشرائع السماوية إذ إنَّ التمرد الذي ينتجه النفي ـ في الخطاب الأدبي ـ يخرج بالعمل من خطاب الصنعة والاستهلاك والنمطية التقليدي إلى حيوية الفعل وجدلية الحركة وإثارة التساؤلات ويمنح النص سمة التميز والتجدد في آنٍ واحد، ويسمو به عن الآنية وقد حصره بعض الأدباء في اختيارية الرفض لما هو مقبول، أو القبول لما هو مرفوض، فألبير كامي[٣٤] وهو واحد من الذين أصَّلوا بعمق لظاهرة التمرد يختزل مدلوله في "**لا**" و "**نعم**" إذ يرى أن" أكثر التمرد سلبية ـ مثل العبد الذي يعصي فجأة أمرًا لسيده ـ يشتمل بالضرورة على

أن ثمة عنصرًا إيجابيًا، فإذا رفضت أداء عمل أكرهت عليه، فهذا يعني في دخيلة نفسك إرادة غامضة نوعًا ما في أداء نقيضه"[٣٥] .

ولعل المبدع يلجأ إلى أن يشهر على المجتمع سيف تمرده، حينما يستنفد كل الحيل ويُفني كل وسائله وحيله الدفاعية في التعبير عن رأيه، أو لعله لم يرض بأن يكون الحل لموقفه ميتافيزيقيًا، أو سكونيًا، أو استجابة تامة للواقع أو رفضًا مطلقًا له وأصرَّ على أن يستمر الصراع في حلبة المواجهة بينه وبين المتلقي، وأن تظل هذه الجدلية قائمة ليتوالد عنها العديد من مواقف الرفض ومظاهر الاعتراض، تمامًا كما حدث مع **إحسان عبدالقدوس** في بعض أعماله، فبعد أن كتب مقاله السياسي الشهير الذي اختار عنوانه المثير المتصادم مع الإطار العام ليكون (**العصابة التي تحكم مصر**[٣٦]) تمَّ التضييق عليه، فانطلق إلى ساحة الكتابة الأدبية وما يسمح به فضاؤها الواسع من إسقاطات وترميز وبوح على لسان الشخوص التي تتوارى شخصية المبدع خلفها ،وبعد أن كتب روايته (**البنات والصيف**١٩٥٩م[٣٧]) اعترض عليه الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، ونالته الرقابة بنصيبٍ وافر من التضييق، ولكن إحسان لم يلتفت لهذه الآراء واستجاب لطبيعته المتمردة، وبعث رسالة لجمال عبد الناصر يقول فيها: " إن الواقع أقبح بكثير من الفيلم[٣٨]".

٢/ التجديد: إن مما يميز ظاهرة النفي في العنوان الروائي لدى إحسان عبد القدوس . أنه جعل النفي وجهًا آخرًا لعملة التجديد، فلم ينطلق إحسان من النفي للتعبير عن مدلوله الأصيل وهو التمرد أو الرفض، ولكنه منح ظاهرة النفي أبعادًا سيميائية تداولية خاصة انطلقت من رؤيته الذاتيَّة الاجتهادية لموروثات الماضي، ثم اتخذ موقفه الخاص من هذه الموروثات فجاءت المقاصد التداولية والأبعاد السيميائية العديدة في العنوان الروائي حاملة لهذه الرؤى، وهذا ما يجعل النفي في عنوانه الروائية ملمحًا تداوليًا ذا سمتٍ مائز.

المبحث الأول

النفي باستخدام (لا)

تمثِّل اللغةُ نظامًا إشاريًا سيمولوجيًا، والكلمة بموقعيتها في التركيب إشارة تثير مدلولات كامنة في الذهن، وتستدعي مدلولات أخرى غائبة، وتفتح أفاقا جديدة لمدلولات محتمل،"وهذا كله يرتبط بالدلالة التي تتغياها من موقعيتها، فهي تحمل في طياتها قطبين رئيسيين (قطب الصوت، قطب الدلالة)"(٣٩)

وقد برزت ظاهرة النفي في العناوين الروائية لإحسان عبد القدوس بقوة، حيث بلغ عدد ورودها (ثلاث عشرة مرة)، ويمكن تناول بعض من هذه الروايات . تحليلًا لهذه الظاهرة من خلال دراسة موقعية النفي في العنوان.

أولا: النفي باستخدام (لا) متصدِّرة العنوان الروائي:

يرى سيبويه وغالبية النحاة أنَّ (لا) تنفي المضارع ، ويمتدُّ أثرها النافي للمستقبل (٤٠) وذهب الأخفش والمبرِّد وابن مالك إلى أنَّ نفيها الحدث في المستقبل ليس لازمًا، بل قد يكون المنفي بها الحال، قال ابن مالك:"وهو لازم لسيبويه وغيره من القدماء لإجماعهم على صحة قام القوم لا يكون زيدًا، بمعنى : إلا زيدًا، ومعلوم أن المستثنى منشئ للاستثناء، والاستثناء لا بد من مقارنة معناه للفظه ، والاستقبال يباينه ، وأجمعوا على إيقاعها في موضع ينافي الاستقبال، نحو: أتظن ذلك كائنًا أم لا تظنه؟ ومالُك لا تُقبل؟ وأراك لا تبالي!، وما شأنك لا توافق؟ وغرَّ الزمخشري وغيره من المتأخرين قول سيبويه :" إذا قال هو يفعل: أي هو في حال فعل، فإن نفيه : ما يفعل، وإذا قال : هو يفعل ولم يكن الفعل واقعًا، فإن نفيه لا يفعل" وإنما نبَّه على الأولى في رأيه والأكثر في الاستعمال"(٤١)

واستخدام النص الحكيم لهذه الأداة ـ في بعض المواضع ـ يدل على أن (لا) ممتددة الأثرالتداولي للنفي عن غيرها من الأدوات الحاملة لذات الدلالة، يقول الزركشي"

وقد جاء في قوله تعالى :(وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (الجمعة:٧) بحرف (لا) في الموضع الذي اقترن به حرف الشرط بالفعل، فصار من صيغ العموم، يعمُّ الأزمنة كأنه يقول: " متى زعموا ذلك لوقت من الأوقات، وقيل لهم تمنوا الموت فلا يتمنونه"(٤٢)

وقد ورد استخدام النفي بالأداة (لا) في صدر العنوان الروائي في أعمال إحسان عبد القدوس في خمس روايات: **(لا أنام / لا تتركوني هنا وحدي/ لا شيء يهم / لا ليس جسدك/ لا أستطيع أن أفكر وأنا ارقص)** ، ويمكن تناول بعض هذه العناوين بالتحليل السيميائي التداولي على النحو التالي :

١/ العنوان في رواية "<u>لا أنام</u>"

يأتي التركيب اللغوي للعنوان الروائي مكونًا من :**(لا: النافية + الجملة الفعلية ذات الزمن المضارع + الفاعل(مستتر:أنا)** وهو نفيٌ تام مُحال؛ ينفي الكاتب ـ من خلاله ـ الدلالتين الصريحة المباشرة والأخرى غير المباشرة للفعل ، فينفي وقوع الحدث بمعناه الأصيل (النوم) وينفيه بمستلزماته (الراحة / الهدوء/ الاطمئنان/ الانفصال عن الواقع/...) وغير ذلك من التلازمات الدلالية المتعالقة بالفعل، ومن ثمَّ فإنَّ سلطة النفي في العنوان تمثَّل سلطة التمرد على الغريزة الإنسانية الفطرية، واختيارية الزمن المضارع للفعل (أنام) وموقعيته بعد الأداة النافية تشي بأن ثمة مانعًا قويًا أقض مضجع بطل الرواية، وهي حالة ممتددة من الزمن الحالي وتستمرحتى المستقبل، ليكشف تركيب العنوان عن مقصدٍ تداولي سيميائي جديد، وهو مشاركة المتلقي في التجربة وتكليفه بالبحث عن حلول لهذه المعضلة التي تضمنَّها العنوان الروائي.

والعنوان ـ في الوقت ذاته ـ يمنح الصوت المتكلم ـ الذي اختار النفي وسيلة للتعبير سمة الذاتية الخالصة، وهو الأمر الذي يجعل من النفي في العنوان مقصدًا له بُعده

السيميائي الذاتي في الرواية ، حيث تظهر البطلة في الرواية، وتطلُّ بصوتها قائلة في أكثر من موضع: **(ولم أنم ليلتها وقضيت عدة ليالٍ لا أنام)**[٤٣].

وهنا يقتبس إحسان عبد القدوس عنوانه الروائي من لسان إحدى بطلاته التي تخرج إلى الوعي المضاد، أو بمعنى أدق إلى الواقع المنفي الذي تحاول تغييبه، وتصور عذابها وهي تتخيل أباها مع زوجته الجديدة، وهي تسمع تأوهات الزوجة في الليل فيستيقظ وعيها الأنثوي، وليس لديها من تحكي له وتناقش معه رؤيتها حول الحب والحياة، فلا أسرة متماسكة، ولا أقارب على مسرح حياتها ولا أصدقاء يتشاركون معها الحياة، وقد جمحت بها الخيالات التي تؤرق مضجعها لتتخيل نفسها مع أبيها في فراشه بديلة لزوجته الجديدة!!

كل هذه الهواجس والأراجيف تجعل الوعي الإنساني السوي رافضًا الراحة أو الاستقرا، وتجعل من سيميائية النفي خصوصية إنسانية كشفت عنها الرواية، ويمنح العنوان سلطة تداولية ذات أبعاد عديدة.

لقد أسهمت القراءة السيميائية للنفي في إسماع المبدع للمتلقي صرخة بطلة الرواية على الغلاف (لا أنام) لتعلن من خلال النفي رفضها الواقع، واتخاذ موقفها المضاد منه فكانت النتيجة الحتمية لتداولية هذا التركيب اللغوي أن يفرَّ هذا الصوت المتمرد إلى عالمٍ مقابل يمثله شخصية(**مصطفى**)الذي تآلفت بطلة الرواية معه وتقاربت، هذا التقارب الذي جعلها تتباعد في الوقت ذاته . عن عالمها الأُسري، وجعلها من ناحية أخرى متصارعة مع ذاتها، وتتنازعها الشكوك المتوالية(الشك في مكانتها عند أبيها/ الشك في نظرة الخدم لها/ الشك في زوجة أبيها/ الشك في مصطفى) هذا الصراع الذي يُطلق عليه هيجل (الوعي غير السعيد) ينتج لنا- وفق القراءة السيميائية التداولية - ذاتا ثالثة تتشابك مع الذات الأصيلة والذات المتغيرة تشابك اختلاف وتضاد ينشأ عنه صراع يمزقها، ويجعلها تصيح بصوت عالٍ: **(من أنا...هل أنا ذلك الوجه البريء**

الصامت الذي يبدو للناس؟")هذا التساؤل الذي يطلُّ في أخريات الرواية هو وجه العملة الآخر للعنوان(**لا أنام**).

إنَّ مداهمة القاريء بظاهرة النفي في العنوان هي مداهمة للواقع الذي تمثله(**نادية**) والمفروض الذي يمثله (**المجتمع**)إذ إنَّ البطلة الروائية لم تتشابك مع المجتمع بما يكفي وبقيت بداخل إطارها الأسري الضيق؛ لينعكس هذا الصراع عليها انعكاس التمرد لا انعكاس الانقياد، وتفقد (**نادية**) ذاتها وتُسلب غريزتها الإنسانية فتنفي عن ذاتها النوم وهو الفعل الحدثي الذي اختاره الكاتب رمزًا للأريحية والهدوء والاستقرار.

وينطلق إحسان عبد القدوس من هذا العنوان في انطلاق دائري، ليجعل نهاية الرواية مؤطِّرة للعنوان، فتأتي النهاية فيها شبه مفتوحة، تلخيصًا للصراع القائم مع وجود وعي غير سعيد، يجعل من بطلة الرواية شخصية ظاهرة ومتوارية في الوقت ذاته، فهي باختصار. كما لخصتها النهاية . (**نادية**) ولا (**نادية**)!!

إنَّ سيطرة النفي على العنوان الروائي، واحتلال أداة النفي(**لا**) . بما تحمله من امتداد صوتي بأثر من المقطع الطويل فيها (ص ح ح) . موقعية الصدارة في التركيب العنواني هي صيحة متمردة من إحدى شخوص الرواية، وهذا يؤكد أن:" المعنى اللغوي لقول ما يُفهم يعتمد على خلفية اللغة، أمَّا مرماه الحيوي فعلى خلفية الأقوال الأخرى المشخَّصة في الموضوع ذاته على خلفية الآراء، ووجهات النظروالتقويمات المتضاربة"[٤٥] وهو يخلق خلفية لدى المتلقي تجعله يتجه إلى أي قول في الرواية يكشف له مدلولية العنوان، وهي خلفية ليست لغوية . وإن كانت اللغة وسيلتها الأساسية. ولكنها مضمونية تعبيرية، ومن ثمَّ يحدث تلاقٍ جديدٍ بين العنوان والنص، فيمارس تأثيره القوي الجديد في أسلوبية القول.

٢/ العنوان في رواية (لا شيء يهم) .

ثمَّة نموذج آخر لسُلطة النفي التمردية في العناوين الروائية، تظهر في عنوان **روايته (لا شيء يهم) وقد نشرت هذه الرواية عام ١٩٧٥م**، وهي رواية ذات طابع خاص نُشرت . على الرغم من ضخامة حجمها. الذي يصل إلى (٥٠٠ صفحة) في جزءٍ واحد، وتدور موضوعاتها حول الحب والعلاقات والارتباط والزواج في إطار من الفلسفة السائدة آنذاك . في عصر ما بعد الحرب وسيطرة ثقافة الانفتاح.

وتظهر السيميائية التداولية في اختيارية الكاتب لأداة النفي **(لا)** المتصدِّرة للعنوان التي تفتقر دلاليًا إلى ما تنفيه، لتأتي النكرة **(شيء)** مُزيلة لهذا الافتقار الدلالي من ناحية ومفسحة المجال للشمولية العموم من ناحية أخرى، إذ إنَّ النكرة . كما ذهب النحاة . هي الأصل والمعرفة طارئة عليها.

وكأنَّ المقصد التداولي للنفي في العنوان بذلك يسعى لنفي الأصل، فضلًا عن عمومية الدلالة لفظة **(شيء)** وهذا اسم للمعنى العام، والعام يشمل الخصوصية في حيزه، بينما الخاص لا يشمل العام، ومن ثمَّ فهذا لون من ألوان نفي العموم والتمرد على الشائع والموروث أباحه التركيب اللغوي للعنوان، لتأتي الجملة الفعلية المشتملة على الفعل **(يهم)** لتتمم فائدة التركيب، وتزيل الإبهام وتكشف القناع عن اختيارية الابتداء بـ"النفي"، وهي معالنة سلطوية من الكاتب المتمرد على أي شيء، وغضٌ وحطٌ من قيمة أي شيء. في الوقت ذاته، ونفي الاهتمام ـ في أحد مقاصده السيميائية التداولية ـ هو ترحاب بالعبث وخروج عن الإطار الاجتماعي والأعراف العامة ، ومع الأخذ في الحسبان أنَّ النكرة توحي بدلالات عديدة، منها (التهويل/ الشمول/التعظيم/../...) فإنَّ قراءة العنوان ـ وفق هذه المعطيات ـ تفتح آفاقًا تداولية وسيميائية أرحب ، فالنفي يتجاوز وظيفة الإبلاغ إلى وظيفة إثارة المتلقي وتنشيط فضوله لاقتحام عالم الرواية والبحث عن مدلولية النفي في العنوان(لاشيء يهم) ثم إن

موقعية الفعل المضارع (يهم) تمنح العنوان طاقة الاستمرارية والتجدد، فضلًا عن دلالة الفعل (يهم) الذي يخرج إلى مدلولي (الأهمية/الهمّ)وهو اختيار ـ فيما أظنُّ ـ وفِّق المرسل فيه، إذ يخرج الفعل بطاقاته الدلالية إلى نفي الأهمية واعتناق مذهب العبثية، أو نفي الهموم التي لا تخلو منها الحياة وهو ملمح عبثي آخر، فالأول من الجهل والآخر من التجاهل، وكلاهما خاضعٌ لسلطة النفي في العنوان .

وبالولوج إلى عالم الرواية نجد الكاتب يستلهم عنوان روايته من حالة أحد شخوصها وهو**(محمد وجدي)** الذي يؤمن بعبثية الحياة، وهو ممثل مسرحي بوهيمي، يرفع شعاره الدائم (لا شيء يهم)، ويحب زميلته (سناء) بالمسرح، ويجعل من قصة حبه مسرحية أخرى يتولى البطولة فيها، فيمثِّل عليها ـ أيضًا ـ الحب ولا يتزوجها أبدًا !!

ولكنه يتزوجها مضطرًا بعد تدخل الكاتب المسرحي**(عم صادق)**ويستمر(محمد وجدي) في بوهيميته واعتناق مذهبه العبثي على امتداد الرواية، ويتساهل في نصيبه من الميراث، ويكتفي بالمال الذي تساعده به أخته**(فاطمة)**، ويتفاجأ بحمل زوجه **(سناء)** فيتهرب منها ويتمرد على المسئولية ويهرب إلى الإسكندرية.

فالشخصية التي استلهم منها الكاتب تركيبية العنوان ، تضع عن ذاتها إصر المسئولية الاجتماعية، وتنفيها عن ذاتها، وتتهرب منها (جهلًا) في بعض المواقف و(تجاهلًا) في مواقف أخرى، لكن هذا الهروب والتمرد السلبي لا يلبثان أن يتحولا في نهاية الرواية إلى حضورٍ قوي وفعال من هذه الشخصية، عندما يشاهد **(محمد وجدي)** طفلًا يغرق فتتحرك نوازع المسئولية داخله، ويتمكن من إنقاذه، وتتغير مفاهيمه السابقة عن الحياة، وتستيقظ بدخله مشاعر الأبوة، ليصبح فجأة **(كل شيء يهم)** ويعود إلى زوجه(سناء) التي تجاهلها فترة طويلة ويتحمل معها مسئولية ابنهم الصغير .

إنَّ هذه المفارقة الشخصية والتغيُّر المفاجئ في شخصية **(محمد وجدي)** وذلك التحوُّل الفكري على امتداد أحداث الرواية، يخلق من العنوان عتبة نصية مثيرة لاقتحام

عالم الشخوص فيها، وهنا يخلق الكاتب من النفي إطارًا لعنوانه، ولكنه في هذه المرة **(نفي تقابلي)** ينقض مفرداته في أحداث الرواية، على النقيض من **(النفي التوافقي)** في الرواية السابقة **(لا أنام)** وهذا يوحي بقاعدة مهمة وهي أنَّ" لغة الناثر توضع على درجات متفاوتة في قربها أو بعدها من المؤلف ومن رأيه الأخير، فبعضها يعبِّر عن مقاصده المعنوية والتعبيرية وبعضها الآخر يعكسها بشكل موارب، بما يجعل من الكلمات سلطوية لتجسيد مضامين مختلفة"(٤٦)

٣/ العنوان في رواية " لا.. ليس جسدَكِ"

تتكون جملة العنوان من **(لا: النافية + الفعل الناسخ+اسم محذوف+الخبر+ضمير المخاطب)**، يمكن قراءة العنوان من منظور السيميائية التداولية ، من خلال ما يلي:

١/ اعتماد المرسِل أداتين من أدوات النفي في صدارة العنوان، الأولى: أداة (لا) والأخرى (الفعل: ليس) المتعالق بالاسم والخبر، وهو ما يمكن تسميته بالنفي المركب الذي يلجأ فيه المتكلم إلى استخدام أكثر من أداة أو أسلوب دون فاصل بينهما قبل الإفصاح عن المنفي .

٢/ اعتماد المرسل إستراتيجية (الافتراض المسبق) في العنوان، إذ يوحي العنوان بأنَّ هناك حوارًا ذا أطراف من المتحدثين ، وأن أحدهم سأل الآخر هل هذا جسدك؟ أو لعله سأل نفسه: هل هذا جسدي؟ أو لعلها أسئلة متتابعة تدور في ذات السياق، وهذه كلها تندرج تحت مبدأ (الافتراض المسابق(٤٧)) وهي الفكرة الأصيلة في التداولية التي تقوم على"أننا في حالة التكلم نعمد إلى إنجاز بعض الأفعال المجتمعية، وأغراضنا ومقاصدنا من هذه الأفعال، حيث تتغير صورة معرفة المخاطب تبعًا لأغراض المتكلم تغييرًا ملحوظًا"(٤٨)

٣/ تظهر سيميائية العنوان في ترك المرسِل مساحة للمتلقي لإكمال الفراغ المحذوف في العنوان (لا..ليس جسدك) حيث تدل النقطتان الواقعتان بعد (لا) النافية على أنَّ

ثمة محذوفًا من الكلام فيه معنى القول، ومعلوم أنَّ الحذف يتوقف على مدى إدراك المتلقي مواطن الحذف، وبراعته في ملء تلك الفراغات، وهذا يجعل من القارئ مبدعًا مشاركًا في إنتاجية النص، وقد أشار (ابن جني) إلى أنَّ حذف بعض مفردات البنى العميقة من سمت كلام العرب ، ويكون عن قصدٍ منهم؛ " لأنه لا يُستنكر الاعتداد بما لم يخرج إلى اللفظ؛ لأنَّ الدليل إذا قام على شيء في حكم الملفوظ به، وإن لم يجز على ألسنتهم استعماله"(٤٩).

وبالنظر إلى النص الذي يمثل العنوان الروائي **(لا..ليس جسدك)**عتبته، نجد أنَّه ينظِمُ تحته مجموعة قصص قصيرة، اختارها الكاتب من الواقع ليعبِّر عن بعض مشاكلها وهمومها، مما لا يمكن البوح به إلا على الورق، ولا ينظِم هذه الروايات أو القصص المنثورة ناظمٌ واحد إلا العنوان الذي يضفي هيمنة النفي عليها، وهي هيمنة استلاب ما لا يمكن استلابه بحال؛ لأنَّها هيمنة استلاب الجسد الذي يمثل ملكية أصيلة لصاحبه لكن المرسل يستلب هذه الملكية في العنوان، ويأتي العنوان حاملًا الصوت الإفرادي وهو من قبيل الدلالة على الجنس ومن ناحية أخرى يأتي النفي . هذه المرة بصيغة المخاطب(جسدكِ)، وكأن إحسان يقيم حوارًا أو بلغة القص يصنع مونولوجًا داخليًا متخيَّلا بينه وبين الشخوص أو بينه وبين القارئ، وهذا المونولوج قد غابت إحدى أصواته وتوارت داخل النص الروائي، ولم يظهر منهما للمتلقي إلا الطرف الثاني الذي يبوح بالعنوان(لا) وهي إجابة عن تساؤل مبدوء بـ (هل) وطبيعة السؤال تظهر من خلال الإجابة، فكأن السؤال:هل هو جسدي؟ وهو تساؤل . بلا شك . تثيره أحد شخوص الرواية، وهو تساؤلٌ لا يخصُّ أحدًا بعينه، فاللغة الروائية بطبيعتها لغة متنازعة ومتشاركة، ومخترَقة بالمقاصد ومُشبعة بالنبرات.

إنَّ القراءة التداولية السيميائية للغة الروائية تؤكد أنَّ هذه اللغة الروائية وما تشتمله من ظواهر لغوية في العنوان أو في السرد الروائي ليست شكلًا معياريًا مجردًا

فالكلمات تفوح منها رائحة الحوار، والكلمات تشي بالمدلول، وتُفصح بالمسكوت عنه وتخلق من المجرد محسوسًا، وتحول المحسوس إلى مجرد، والظواهر اللغوية ليست مقصودة لذاتها بل إنها وليدة التساوق، وهذا كله يقودنا إلى قراءة العنوان المنفي قراءة متأنية تكشف عن مقصديته.

هنا يتوقف الحديث بعد(**لا..**) وقفة سيميائية توحي بالانتظار والترقب، ثم تأتي الجملة الاستئنافية (**ليس جسدك**) وهي جملة منقوصة التركيب بالحذف، الذي تبيحه القاعدة النحوية، وتفتح آفاقًا رحبة من التأويلات التداولية من خلال هذه المعالجة اللغوية لتركيب العنوان الذي اعتمد ظاهرة الحذف، ومن خلال تأويلات المحذوف يمكن الوقوف على بعض هذه التأويلات، فإن كان المحذوف **اسم(ليس)**وهو الضمير المستتر. تصبح الجملة تامة التركيب، وإن كان المحذوف **خبر(ليس)** فإن الجملة تفسح المجال للخبر المحذوف، ويكون المدلول حقلًا خصبا للعديد من التكهنات السياقية والأحداث المفسِّرة لدلالة هذا الحذف في العنوان، وهذا يلتقي مع مبدأ مهم من مبادئ التداولية وهو(**مبدأ الكمّ**) ويُعنى بكم المعلومات الإخبارية التي يحملها الخبر وترتبط به"[٥٠] وهو ما أراده الكاتب من العنوان الذي تكشف عن مدلولاته ومقاصده صفحات الرواية وهي كلها ـ تكهنات وافتراضات مهمة للبحث عن الدلالة السيميائية التداولية المتوارية خلف تلك الظاهرة اللغوية، وبذا يؤدي النفي في العنوان وظائف سيميائية تداولية عديدة أثمرتها الوظيفة الأصلية للنفي المتضافرة مع ظاهرة الحذف، وهي وظائف(التمرد/ توجيه الخطاب/ الإثارة/ جمع أطراف النص الغائبة/ الوظيفة التسويقية).

٤/ **العنوان في رواية "رائحة الورد وأنوف لا تشم"**

يتكون التركيب اللغوي للعنوان من (مبتدأ: مضاف+ مضاف إليه + حرف عطف+ معطوف + لا : النافية +(نعت جملة :فعل مضارع + فاعل مستتر) وعند قراءة هذا العنوان قراءة سيميائية تداولية ، يمكن ملاحظة ما يلي :

١/ ابتدأ الكاتب تركيبية العنوان بالنمط الإضافي (رائحة الورد) الواقع في محل الابتداء وهو تركيب إضافي يستدعي لذهن المخاطب أبعادًا دلالية عديدة متعالقة معه.

٢/ استخدام الكاتب المضاف إليه مُعرَّفًا بـ (أل) التي يمكن أن تخرج لدلالات (الجنس) فتوحي بالعموم والشمول، وقد تخرج لدلالة (العهد الذهني) فتوحي بذاتية التجربة لدى المتلقي .

٣/ الاستغناء عن ذكر الخبر في تركيب العنوان، وهو استغناء يتسق مع أحد مبادئ التداولية الأساسية، وهو مبدأ(الاستلزام الحواري[٥١]) الذي يعتمد فكرة أساسية مؤداها " أنَّ الناس في حواراتهم قد يقصدون فعلًا ما يقولون، وقد يتجاوز قصدهم أكثر مما يقولون، وقد يكون ما يقولونه نقيضًا لما يقصدونه"، ووفقًا لهذا المبدأ فقد يكون الغرض من حذف الكاتب للخبر ـ في تركيب العنوان ـ للإيجاز(اعتمادًا على قرينة الافتراض المسبق بعلم السامع) أو للإطلاق أو لغيرهما من أغراض الحذف، والذي يعني البحث ـ هنا ـ أن الحذف في تركيبة العنوان يخضع لهذا المبدأ التداولي، ويخرج لتلك الأغراض السيميائية .

٤/ تعدد الوظائف السيميائية التي تخرج إليها أداة العطف في العنوان، وهي وظائف تسمح بها القراءة النحوية لهذه الأداة، فقد تكون الأداة للعطف فتقتضي المغايرة، وقد تكون للاستئناف فتثبت حكمًا جديدًا مخالفًا لما يسبقه، وقد تكون للمعيَّة فتحمل قراءة سيميائية ثالثة تفيد التعجب والاستنكا، وهي ـ في المجمل ـ قراءات سيميائية للأداة تتسق مع أحد المبادئ التداولية المهمة، وهو مبدأ " المناسبة أو العلاقة"[٥٢].

٥/ موقعية النفي في تركيب العنوان، إذ يقع النفي في جملة المعطوف (أنوف لا تشم) هذه الموقعية تمنح النفي بُعدًا سيميائيًا، إذ يمكن تسمية هذا النمط من النفي بالنفي المكافيء، وفيه يتموقع النفي في تركيب يُثبت المتكلم أحد أطرافه (رائحة الورد) وينفي ما يكافئ هذا المثبَت أو ما ينهض بدلالته، وهو أسلوب يطمح المتكلم من خلاله إلى إثارة الذهن والتشويق للمتلقي.

٦/ يندرج العنوان الروائي(رائحة الورد وأنوف لا تشم) تحت المبدأ التداولي(الأقوال المتضمنِّة) وهو قانون ـ وفق نظرية هانسون[٥٣] ـ من قوانين تداولية الدرجة الثانية[٥٤] إذ ينهض المضاف إليه(الورد) بإزالة التنكير للمضاف (رائحة) وهو تركيب يفتقد . في العنوان . إلى ما يزيل إبهامه ويكشف ملابساته، فضلًا عن أن لفظة (**رائحة**) تستدعي حاسة الشم . استلزامًا . لتكون حاضرة في الذهن.

وهذا العنوان من قبيل العناوين الرمزية التي لجأ إليها إحسان عبد القدوس في فترة من الفترات؛ ليكشف عمومية التجارب التي يتناولها، وتظهر الأبعاد السيميائية التداولية في العنوان في نفي الكاتب حاسة الشم بأثر من التلازم الدلالي بينها وبين الدلالة السيميائية للتركيب الإضافي(رائحة الورد) الذي رمز به الكاتب إلى العلاقات الإنسانية المتشابكة (**الحب/ الصداقة/ الزواج/ الثقة/ الأمان**) وهي كلها علاقات ذات عمق سيميائي إنساني، اختزلها الكاتب في رمزية التركيب الإضافي، ومن ناحية أخرى فإن الورد لتفوح رائحته ـ من خلال القراءة وفق مبدأ الاستلزام الحواري ـ يستلزم تربة خصبة، ويستدعي يدًا ترعاه وتُوالي الاهتمام به حتى يفوح عبقه، وهذا كله من المسكوت عنه في العنوان .

ومن خلال القراءة السيميائية التداولية للتركيب الإضافي في العنوان (**رائحة الورد**) يمكن القول: إنَّ الكاتب أراد أن يقول : إنَّ المجتمع هو البيئة التي ينبت فيها ذلك الورد وأفراده أهل رعايته، ولكن الورد مبهج للعين، وفي الأنف أكثر عبقًا وتأثيرًا، ومن ثمَّ

يأتي تركيب العطف **(وأنوف لا تشم)** الذي يطول به العنوان ليفتح طاقات تأويلية ويثير شغف القارىء من خلال:

١/ التعبير بلفظة الجمع **(أنوف)** ليوحي الكاتب أن ثمة ظاهرة عامة تستوجب التوقف بالدراسة، فليس الأمر حالة فردية أو عارضة لا تثير الاهتمام.

٢/ التعبير بالنفي **(لا تشم)** يمثِّل تمردًا على صدر العنوان (رائحة)، فما قيمة الرائحة العطرة إن لم تكن هناك أنوف تتنشق عبيرها؟

وهنا تظهر دلالات النفي السيميائية التداولية في تمرد التركيب في عنوان هذه الرواية فثمة قيمة دلالية كامنة وراء الثبوت والتحول في العنوان **(رائحة الورد و أنوف لا تشم)**.

وباستقراء موضوعات هذه الرواية المتشعبة القصص ـ ذات الفكرة الواحدة ـ تظهر دلالة الجمع بين دلالة العموم لاسم الجنس (الورد) ودلالة الجمع في (أنوف) فقد حاول الكاتب أن يجمع بين مسألتي الثبوت والتحول من خلال ابتدائيته التركيب العنواني بالمركب الإضافي **(رائحة الورد)** ليستدعي للذهن رمزًا لعلاقات (الحب والصداقة والزواج) وغيرها من صور العلاقات الإنسانية السوية ، فلا يمكن بحال أن ينفي أحدٌ رائحة الورد عندما تفوح ، إن ذلك من طبيعته التي خلقه الله ـ جل وعلا عليها، وتظهر مسألة التحول عن هذا الأصل في أنَّ ثمة (أنوف) قد ترفض حاسة الشم ـ طوعًا ـ برفض هذه العلاقات والتمرد عليها بصور عديدة من أحوال (الخيانة/ الطلاق/ البُعد/.../....) وغير ذلك من حالات البُعد والهجران، وقد تُسلب حاسة الشم ـ كُرهًا ـ بأثر من سطوة المجتمع ومقيدات الظروف والأحوال، أو عدم الاستعداد الغريزي لمثل هذه العلاقات، وهذا كله تبيحه قراءة العنوان وفق المنظور السيميائي التداولي في عنوان الرواية.

المبحث الثاني

النفي في العنوان الروائي

باستخدام الأداة (لم)

اتفق النحويون على أنَّ (لم)تختص بالدخول على المضارع، لتنقل التركيب إلى الزمن الماضي[٥٥]، بيد أنهم اختلفوا حول تحديد المدى الزمني للماضي: هل هو مستمر أم منقطع أم متصل بالحال؟ فيرى سيبويه أنَّ قولهم :"لم أضرب"نفي لقولهم "ضربت"[٥٦]،وفي موضع آخر يقول: و"لم"هي نفي لقوله "فَعَلَ"[٥٧]،ويرى ابن عصفور أنَّ"لم"تنفي الفعل الماضي المنقطع ، تقول: عصى آدم ربه ولم يندم، ثم ندم بعد"[٥٨]" وقسَّم (ابن هشام) زمن النفي في (لم يفعل) إلى[٥٩]:

١/ الماضي المنقطع ، نحو قوله تعالى: (لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا)(الإنسان:١)

٢/ الماضي المتصل بالحال،نحو قوله تعالى: (وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا)(مريم:٤)

٣/ الماضي المستمر أبدًا ، نحوقوله تعالى:(لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ)(الإخلاص:٣)

والذي يمكن الخلوص إليه من هذه الأقوال: أن منفي(لم)يدل على الزمن الماضي، مالم تأت قرينة صارفة لهذه الدلالة أو يُقيد بقيد ، فيكون المعنى بحسب ذلك القيد.

وقد استخدم إحسان عبد القدوس في بعض عناوينه الروائية النفي بالأداة **(لم)** وهي مفيدة للنفي والجزم والقلب . عند جمهور النحاة ليُكسب العنوان دلالات مثيرة ووظائف جديدة، ربما . في ظنه . لا تنهض بها أداة أخرى من أدوات النفي، فمن الامتداد الصوتي الناتج عن الحركة الطويلة في الأداة **(لا)** إلى السكوت الواجب في **(لمْ)**، فهذا السكوت والسكون الصوتي والوقف الوظيفي، والتوقف في العنوان هو الذي قصده إحسان عبد القدوس؛"لأنَّ مقاصد المخاطِبين لا يمثلها الوضع اللغوي المجرَّد فقط، ولا يمكن الوصول إليها إلا من خلال فهم اللغة في سياق الاستعمال المتجدد بتجدد مقاصد المتكلمين "[٦٠].

وحرف النفي(لم) ـ وفق القراءة السيميائية التداولية ـ هو حرف يغلق باب الاحتمال على العكس من الأداة (لا) التي يتنازعها دلالتا النفي والنهي، وينتظر المتلقي التركيب ليميط اللثام بالمقصود بأحدهما، ولكن مع (**لم**) يختلف الحال، إنها بمثابة وقفة صوتية ونحوية ودلالية جازمة، ومحطة مفصلية في التركيب، ونظير ذلك في الكتاب العزيز (قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـٔاًۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ) (الحجرات:١٤)، فالأداة (لم) قطعت نسبة الإيمان لهم من كل وجه، وتكفَّل التركيب الممتد ـ من خلال العطف ـ بكشف هذا المدلول.

هذه الدلالات السيميائية التداولية التي تؤديها **(لم)** في التركيب هي دلالة النفي القطعي للفعل الداخلة عليه، وتغييِّر دلالته الزمانية فينقلب معها من دلالة الحال إلى الماضوية، ومن التجدد والاستمرارية إلى الثبوت والتقرير، ومن ذلك في عناوين روايات إحسان عبد القدوس:

١/ عنوان رواية: آسف لم أعد أستطيع.

وقد كتب إحسان عبد القدوس هذه الرواية في مطلع ستينيات القرن الماضي، وهي مجموعة قصصية ابتدأها برسالة للزعيم الراحل(جمال عبد الناصر) يبرئ بها نفسه من اتهامات ألصقها به رجال الدين ـ آنذاك ـ وهي اتهامات بالإلحاد والنزوع للفاحشة ونشر الأدب المكشوف، ومن ثمَّ مارست الرقابة عليه تضييقًا كبيرًا، يقول عنه :"كانت التهمة هي الجنس والإلحاد...كانت الصحافة أيامها لم تؤمم بعد، وكانت الرقابة المفروضة عليها ثقيلة عنيفة، وكنت أنا صاحب روز اليوسف، وحتى أهرب بنفسي وبروز اليوسف من ثقل الرقابة (كمشت) صفحاتها السياسية، وفتحت صفحات أوسع للمواد الاجتماعية والأدبية، وهو نفس السبب الذي جعلني أيامها أطالب بتأميم الصحافة؛ لأن الرقابة كانت قد وصلت إلى حد أصبحت الصحف أقرب فعلًا إلى ملكية الدولة"[٦١]

وقد كتب إحسان عبد القدوس هذه المجموعة القصصية متضمنة عدة قصص قصيرة (شباك كلها ثقوب/ هل قرأ عبد الناصر هذه الرسالة؟/ الراقصة والطبال/ قبل الوصول إلى سن الانتحار/ آسف لم أعد أستطيع/ كان يعيش مع لسانه/ الزجاجات الفارغة/ قبل أن تخرج الحقيبة من الباب) واختار لها عنوانًا من بين عناوينها ينظم شعثها، ويجمع مقاصدها، وهو(**آسف لم أعد أستطيع**)، **ويمكن قراءة هذا العنوان من منظور سيميائي تداولي من خلال ما يلي:**

١/ التركيب النحوي للعنوان، حيث يأتي متكونًا من (خبر لمبتدأ محذوف+لم+مضارع مجزوم+فاعل مستتر+جملة فعلية).

٢/ ابتدأ تركيب العنوان بكلمة :(**آسف**) وهو خبر لمبتدأ محذوف، اختاره الكاتب لينطلق ـ من خلاله ـ إلى تأويلات عديدة، وفي حذف المبتدأ تغييب لشخص المتكلم تغييبًا قصد منه الكاتب تسليط الضوء على الخبر ومصادمة المتلقي به؛ إذ إنَّ تعبيره بالخبر ـ وفق القراءة التداولية ـ قد يكون اعتذارًا عن تقصير أو خطأ من ناحية، أو إعذارًا عن عدم بلوغ الغاية ـ من ناحية أخرى . وربما كان المقصود المعنى اللغوي الأصيل(**الأسف: الغضب**) ومنه قوله تعالى:(فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ) (الزخرف:٥٥)، وكلها مقاصد تأويلية يبيحها السياق الفلكي الذي دارت فيه مدارات تلك القصص المندرج تحت عباءة هذا العنوان الروائي، فقد ابتدأ إحسان هذه المجموعة القصصية التي ينظمها هذا العنوان برسالة للرئيس جمال عبد الناصر، جاء فيها : " إني مؤمن بالله يا سيدي الرئيس ...لست ملحدًا ولعلك لا تعرف أنني أصلي ولا أصلي تظاهرا أو نفاقا، فإن جميع مظاهر حياتي لا تدل على أنني أصلي، ولكني أصلي لأني أشعر بارتياح نفسي عندما أصلي، ورغم ذلك فإني أعتقد أن ديننا قد طغت عليه الكثير من الخزعبلات والأتربة، والتفسيرات

السخيفة التي يقصد بها بعض رجال الدين إبقاء الناس في ظلام عقلي، حتى يسهل عليهم . أي رجال الدين . استغلال الناس والسيطرة عليهم"[٦٢] .

إنَّه استهلال اعتذاري وإعذاري في الوقت ذاته، وتعبير عن طاقة غضب كامنة لدى الكاتب من ناحية ثالثة من سيطرة بعض رجال الدين على عقول الناس، وهي كلها تأويلات أفصحت عنها لفظة الخبر **(آسف)** المتصدرة للعنوان، فضلًا عن دلالة اسم الفاعل على التجدد والاستمرار الشعوري .

٣/ مكملات الجملة (لم أعد أستطيع): وهو تركيب يتمفصل إلى (أداة نفي: لم+ مضارع+ فاعل مستتر + جملة فعلية) وقد تعمدت تفكيك هذا التركيب وقراءته من منظور نحوي لبيان أثره الدلالي، ف **(لم)** تتضافر مع دلالة الأسف من خلال سُلطة النفي الذي تمارسه على الفعل المتلو لها، وهو نفيٌ مسبوق بالاعتذار والإعذار والغضب . في الوقت ذاته . ومن ناحية أخرى فهو تركيب افتقاري . وفق القراءة النحوية . فأداة النفي **(لم)** تختص بالدخول على المضارع وتفتقر إليه، وهنا يفاجئ إحسان عبد القدوس المتلقي بجملة فعلية تفصل بين النافي والمنفي ، هذه المسافة الفاصلة يمثلها الفعل **(أعد)** الذي يحمل في طياته الدلالية معاني الاعتياد والألفة والارتضاء بالواقع، ويظل التركيبُ مفتقرًا لما يتمم دلالة النفي، لتأتي البؤرة المركزية متموقعة آخر التركيب في العنوان، ممثَّلة في المضارع المُسند . أيضًا . إلى ضمير المتكلم المستتر :**(أستطيع)** وهو فعلٌ يخرج إلى دلالات عديدة، أهمها المحاولة والطلب الذي أفادته حروف الزيادة المتصلة به، ونفيه تمردٌ على هذه الدلالات، والكاتب بهذا يقيم علاقة ضمنية بين الفعلين(أعد/أستطيع)إذ يتوحد الفاعل فيهما(الضمير المستتر) ويتوحد حكمهما في نفي كليهما بـ (لم)،وباستقراء هذه الخصوصية التركيبية في العنوان قراءة سيميائية تداولية، يمكن القول: "إنها تندرج تحت قاعدة العلاقة، وهي إحدى القواعد المندرجة تحت مبدأ

التعاون التداولي، والهدف منها" منع المتكلم من أن ينزلق إلى مقاصد أخرى مخالفة لتلك التي استهدفها الخطاب"(٦٣).

٤/ وفقًا للقراءة السيميائية التداولية للعنوان، فإنَّ اختصاص النفي بـ**(لم)** بعد هذه الجملة المثبتة **(آسف)** تكشف عن دلالة أخرى للعنوان الذي اختاره إحسان عبد القدوس بدقة وحرفية روائية؛ للتعبير عن تمرده على التضيق الذي تمارسه عليه الرقابة السياسية. آنذاك ـ من ناحية، والهجوم والاتهام بالزندقة والفجور الذي ألصقه به رجال الدين من ناحية أخرى، والتضييق الذي يمارسه رجال الدين على أذهان الناس من ناحية ثالثة، ووقوع الجيل أسيرًا للكثير من الخزعبلات والتخاريف من ناحية رابعة، ولهذا كله جاءت دلالة النفي للاعتياد والاستطاعة قاطعة جازمة **(لم أعد أستطيع)** والفصل بالفعل **(أعد)** لبيان استنفاد الطاقة في الصبر والاحتمال.

٢/ **عنوان رواية: "وغابت الشمس ولم يظهر القمر"**

تنتمي هذه الرواية إلى حقل الرواية السياسية في أعمال إحسان عبد القدوس، وقد استلهم عنوان روايته من المشهد الأخير في الرواية التي تصوِّر شخصية **(رفعت)** المتسلقة في منتصف الستينيات، واستطاع استغلال الظروف المحيطة به، والوثوب على أكتاف الآخرين سواء في المرحلة الملكية أو مرحلة الثورة حتى تؤول الأمور إلى عهد الرئيس (السادات) فيحاول التوافق معه، ولكنه يصطدم به، وينتهي الأمر به إلى السجن، لتنتهي أحداث الرواية عند مرحلة السجن، هنا يشعر البطل أن الشمس غابت بموت جمال عبد الناصر، وهو . في الوقت ذاته . يحاول التسلق والظهور على مسرح الأحداث مرة أخرى، ولكن القمر. الذي يرمز به الكاتب إلى المستقبل . لم يظهر هذه المرة ـ في هذه الحقبة البائسة المظلمة، ولعلَّه عبَّر برمزية **(الشمس،القمر)** باعتبارهما ميقاتين زمنيين، ليشير إلى ملمحٍ آخر في تناول الرواية لحقبة سيطرة الإنجليز على الحياة السياسية أيام الملك فاروق، ثم قيام الثورة، وتحول السياسية المصرية من الولاء

لإنجلترا إلى الولاء لأمريكا، ثم تنتقل الرواية إلى تسليط الضوء على أسباب هزيمة ١٩٦٧م، التي لم يُلق لها بطل الرواية بالًا، ولم تؤثر عليه . بشكل شخصي . فهو شخصية انتهازية لا تعبأ إلا بمصالحها الشخصية، يقول الراوي: (لم تكن الأحداث التي وقعت عام ١٩٦٧م، وانتهت بهزيمة مصر لها أثر في حياة رفعت البيومي، لم يكن هناك ما يربطه بهذه الأحداث من قريب أو من بعيد).[٦٤]، وما يقصد إليه البحث ـ بعد هذه القراءة السريعة لأحداث الرواية ـ تحليل العنوان تحليلًا سيميائيًا تداوليًا في ضوء أحداثها ، ويمكن تحليل العنوان على النحو التالي:

١/ يتكون العنوان من (حرف ابتداء:و+ماضي+الفاعل+حرف عطف:و+أداة نفي جازمة:لم+مضارع مجزوم+الفاعل)

٢/ الجزء الأول من العنوان:"وغابت الشمس"، وفيه يبتدئ الكاتب الجملة الفعلية بالواو العاطفة أو الاستئنافية، وكلا التأويلين له مجاله الدلالي الخاص، فالواو العاطفة تفتقر إلى ما تعطف الجملة عليه من تراكيب سابقة، وتفتقر إلى ما يزيل إبهام ما يليها والواو الاستئنافية تؤسس لجملة جديدة تنفصل عن سابقتها، وهو الذي أميل إليه في تحليل هذه الجملة بأثر من القراءة السيميائية للرواية، فـ" إحسان" يرمز بغياب الشمس إلى فترة تاريخية في مصر،ويمثِّل (**رفعت**) بطل هذه الرواية أنموذجًا لنمط الشخصية الانتهازية الذي ظهر بعد أفول زمن الثورة .

وموقعية الفعل الماضي (**غابت**) ـ في صدر العنوان الروائي ـ يحمل الدلالة الأصيلة للفعل الماضي على الثبوت والتحقق، كما أنَّ مفهوم الغياب والبُعد في الفعل يحمل دلالات الاختفاء والتواري، ويؤسس لمفهوم عدم الحضور، وعلاقة الإسناد بين الفعل والفاعل(غابت الشمس)تحمل خصوصية سيميائية؛ إذ إنَّ الشمس يستلزمها فعل(الغروب) للدلالة على الاختفاء ونهاية اليوم، بيد أنَّ الكاتب اختار الخروج عن النسق المألوف في الاختيار اللغوي للفعل لما يحمله فعل (الغياب) من دلالات مائزة

عن دلالات فعل(الغروب)إذ إنَّ الغروب أحد حالتين للشمس في حياة الناس المألوفة(الغروب/الشروق)، والكاتب يقصد مداهمة القارىء برمزية العنوان، ومن ثمَّ جاء اختياره للفعل(غابت) فالغياب حالة خاصة للشمس، وقد يكون عارضًا بأثر من حائل يحول دون ظهورها أو يكون غيابها دلالة على انتهاء الزمان إيذانًا بزوال الدنيا وهي مفاهيم كان من الممكن لإحسان أن يكتفي بها وينتهي العنوان عند هذا الحد، ولكن لأنَّ إحسان عبد القدوس يريد للعنوان أن يكون شاملا لفصول وأحداث روايته التي تؤرخ لحقبتين سياسيتين في التاريخ المصري لم يرتض أن تنتهي الجملة العنوانية عند هذا الحد، فجاءت المكملات.

٣/ الجزء الثاني من تركيب العنوان: "**ولم يظهر القمر**"، وهي جملة معطوفة على سابقتها، تتركب من (و+لم+ الفعل+ الفاعل)وهنا تظهر دلالة النفي السيميائية التداولية في محاولة الكاتب تقرير المُحال الذي يتبادر إلى الذهن من قراءة العنوان؛إذ إنَّ ميقاتي الدنيا الزمانيين (الشمس، القمر) وغياب أحدهما يستدعي . بالضرورة . ظهور الآخر لكنَّ النفي في العنوان الروائي . هنا . يُغيِّب هذين الميقاتين سويًا، مستخدمًا دلالة النفي المُحال، التي تقلب الزمن لفظًا ودلالة في آنٍ واحد، فغياب الشمس . بغض النظر عن المدلول الرمزي لها ـ أمرٌ تعتاده النفس البشرية كل يوم، لكن عدم ظهور القمر بعد غياب الشمس هو الأمر المثير لدهشة القارئ، وقد استطاع إحسان ببراعة روائية رائعة أن يهرب من الاحتمالات الممكنة للعنوان، فلم يختر أن يكون العنوان(وغابت الشمس وغاب القمر)أو(غابت الشمس والقمر)لئلا تنزع الرواية إلى الخيال أو المحال ولكن التعبير اللغوي المنفي(ولم يظهر القمر)هو الأوفق . فيما أظنُّ . في التعبير عن أحداث الرواية؛ إذ إنَّ القمر قد يتعرض لبعض أحوال الغياب فيعتريه الخسوف، أو ربما يحجبه كثيف السحب، أو تتعذر رؤيته، إنها مسألة انتظار تخضع لعوارض الطبيعة، كما أن

القمر به مواقيت الناس وبمنازله تتأسس مصالح العباد الدينية الدنيوية قال تعالى: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ)(البقرة: ١٨٩).

ولذا فإنَّ نفي ظهور القمر يحمل دلالات سيميائية وأبعادًا تداولية،منها:قطع الآمال لبطل الرواية (رفعت) الذي انقطعت به الأحوال بعد انتهاء الحقبة الناصرية التي بزغ فيها نجمه، فلا ماضٍ استمرت حلاوة عيشه (غابت الشمس) ولا مستقبل يأمنه(ولم يظهر القمر)،وهو نفي يحمل دلالات الانتظار والترقب وانتهاز الفرصة لاقتناص المصلحة بعد أن تلوح بادرة ظهورها ، لاسيَّما وأنَّ ميقات حياته وقمر زمانه قد احتجب في عصر السادات وخسف، بعدما ظهرت سوأته وسقط قناعه، وتعذَّر معه أن يناله من الجاه والمناصب ما كان عليه إبَّان الحكم الناصري، وهذا يشير إلى أنَّ الرمزية التي استخدمها إحسان عبد القدوس في عنوانه قد تضافرت مع أداة النفي(لم) في منح العنوان الروائي أبعادًا سيميائية تداولية، من خلال هذه القراءة.

المبحث الثالث

النفي في العنوان الروائي

باستخدام الأداة (لن)

يرى النحاة أنَّ(لن)تنفي الفعل المضارع وتخلصه للاستقبال[٦٥] ، ووقع الخلاف حولها في مسألتين: أمَّا المسألة الأولى فالخلاف حول إفادتها النفي المؤكَّد،وأمَّا المسألة الثانية فالخلاف حول إفادتها النفي المؤبَّد ، فذهب الزمخشري إلى أنها نظيرة(لا)في نفي المستقبل، ولكن على التأكيد[٦٦]،وخالفه كثيرٌ من النحاة في دلالة(لن)على توكيد النفي فقد نقل السيوطي عن ابن عصفور قوله:"إنَّ النفي بـ(لا) آكد من النفي بـ(لن)؛لأن المنفي بـ(لا)قد يكون جوابًا للقسم، نحو: والله لا يقوم زيد، والمنفي بـ(لن)لا يكون جوابًا له، ونفي الفعل إذا أُقسم عليه آكد منه إذا لم يقسم"[٦٧]،ويرى ابن هشام أنَّ (لن)لا تفيد توكيد النفي خلافًا للزمخشري في كشافه،ولاتأبيده خلافًا له في

"أنموذجه"،وكلاهما دعوى بلا دليل"[٦٨]، والذي يطمئن البحث إليه أنَّ الرأي القائل إنَّ(لن)آكد في النفي من (لا)وتفيد تأبيده أقرب إلى الصواب، استنباطًا مما ذكره المفسرون في قوله تعالى(وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ)(البقرة:٩٥) وقوله تعالى:(وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ)(الجمعة:٧)،وقد تعرَّض الغزالي . رحمه الله . للطيفة لغوية في توجيه الإتيان بـ (لن)في موضع البقرة، واستخدام(لا)في موضع سورة الجمعة، وعلل ذلك بأنَّ الدعوى في الأولى أعظم من الثانية؛ إذ السعادة القصوى هي الحصول في دار الثواب، أمَّا مرتبة الولاية فهي وإن كانت شريفة، إلا أنها إنما تُراد ليتوسل بها إلى الجنة، فلمَّا كانت الدعوى الأولى أعظم لا جرم، بيَّن تعالى فساد قولهم بلفظ(لن)؛لأنها أقوى الألفاظ النافية، ولمَّا كانت الدعوى الثانية ليست في غاية العظمة اكتفي في إبطالها بلفظ(لا)؛لأنه ليس في نهاية القوة في إفادة معنى النفي، والله أعلم"[٦٩]، ويرى الزمخشري . في الكشاف . أنَّ (لن)تفيد تأبيد النفي، ووافقه أبو حيان الأندلسي الذي تبع رأي "ابن يعيش" في شرح المفصَّل".[٧٠]

وقد استخدم إحسان عبد القدوس إستراتيجية النفي بـ (لن) في التعبير عن موقفه الرافض لبعض الظواهر الاجتماعية السائدة . آنذاك . في بعض رواياته، منها على سبيل المثال لا الحصر:

١/ عنوان رواية (لن أعيش في جلباب أبي)١٩٨٢م.

تتميز هذه الرواية . شأنها شأن العديد من روايات إحسان عبد القدوس . بأنها رواية رمزية، حيث يرمز فيها المؤلف إلى رفض كل موروثات الماضي، والتعلق بالعادات والتقاليد والثقافات الموروثة، إنَّه يرفض . بصفة عامة . كل ما يتعلق بثقافة الشرق بل بالغ بعض النقاد واتهمه بأنه يرفض الدين نفسه ويدعو إلى العلمانية والفوضوية والانحلال الأخلاقي.

والذي يتغيَّا البحث إلقاء الضوء عليه هو الوظيفة التداولية السيميائية للنفي في العنوان وإلى أي مدى استطاع عنوان الرواية تلخيص تحقيق هذه الوظيفة، ويمكن الوقوف على ذلك من خلال:

١/ يتركب العنوان من (**أداة نفي:لن+ مضارع+ جار ومجرور+ مضاف إليه**) وقد اختار إحسان . هذه المرة النفي بـ (**لن**) وهي ـ عند جمهور النحاة ـ حرف نفي ونصب واستقبال(٧١)، وهو يمتدُّ في دلالته على النفي إلى:

أ/ نفي ثبوت الفعل إلى الفاعل أو نائبه.

ب/ تخليص زمن الفعل المضارع للاستقبال بعد أن كان يحتمل الدلالة على الحال أو المستقبل بحيث يكون معنى الفعل واقعا في المستقبل، وهو بالإضافة إلى هذين المعنيين يوحي بالتأكيد، فـ (لن) لتأكيد ما تعطيه (لا) من نفي المستقبل تقول: لا أبرح اليوم مكاني، فإذا وكدت وشددت، قلت: لن أبرح اليوم مكاني، قال تعالى:(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا) (الكهف:٦٠) وقال تعالى: (فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ) (يوسف:٨٠)(٧٢).

والحقيقة إنَّ (لن) التي تفيد التوكيد والتأبيد في النفي ، قد ألقت من خلال موقعيتها في العنوان الضوء على هذه الصيحة التي أطلقها الكاتب على لسان أبناء الشخصية الرئيسة في الرواية(**عبد الغفور البرعي**) في وجه المجتمع من ناحية وفي وجه أبيهم من ناحية أخرى .

لقد أراد إحسان عبد القدوس . من خلال هذه الرواية . أن يعالج قضيتين اجتماعيتين ألقتا بظلالهما على الساحة العربية آنذاك، وهما: قضية ذوبان الأبناء وانصهارهم في شخصيات الآباء، وقضية التمايز في المجتمع القائم على ما يمتلكه الأب، وليس ما يصنعه الابن، وأشار إليها إحسان مستخدما عبارة: (**أنت مش عارف أنا ابن مين!!**)

٢/ إنَّ عبارة(**لن أعيش**) في صدر العنوان تمثِّل رفضًا مطلقًا من هذا الجيل . الذي ظلمه الواقع ـ ولكنه ظلمٌ مختلفٌ هذه المرة، فلم يجن الفقر عليه جنايته بالحاجة والعِوز ولكنه جنى عليه أن نشأ في بيئة غنية مترفة، نشأ في كنف رجل بدأ الدنيا من القاع وتدرج فيها وتقلَّب بها وتقلبت به، حتى أصبح رأسماليًا مليونيرًا مشهورًا، ولكنه مع ذلك لا يقرأ ولا يكتب! ويريد أن يفرض سلطانه وهيمنته على ولديه (**عبد الوهاب/ عبد الستار**)، وعلى بناته الأربعة (**سنية/ بهيرة/ نفيسة/ نظيرة**).

لقد أراد بطل الرواية أن يخلق من أبنائه ست نسخٍ مكررة منه يبتدئون الحياة كما بدأ ويعيدون إنتاج فصول قصته ثانية، ولم يكتف بنسخته أو يقنع برحلته القاسية التي قطعها في دهاليز الحياة، فأراد من الأبناء والبنات . على حد سواء . أن يعتمدوا على أنفسهم، وأن يؤسسوا حياتهم كما يريدون، دون تدخلِ منه!!

٣/ إن البُعد السيميائي التداولي للنفي في جملة العنوان (**لن أعيش**) يحمل لونًا خاصًا من الرفض كشف عنه التوظيف التداولي للفعل الالتزامي Commissives[٧٣] (أعيش) الذي يحمل طاقة إنجازية مباشرة وموافقة لمراد المتكلم ، وتوظيف لضمير المتكلم المستتر في الفعل ، والموشي بالخوف والرهبة من المواجهة فاستتر نحويًا و أفاد دلاليًا ليظهر بآخرة في المضاف إليه (أبي) إذ إنَّ المرجع في الالتزاميات هو المتكلم ، وهذا يمنح العنوان خصوصية الرفض والتأكيد عليه، فليس رفضًا طواعيًا من جيل الأبناء فقط ، ولكنه رفضٌ مفروضٌ عليهم، ولا اختيار لهم فيه، إنها صيحة وصرخة من واقع مغاير لما دار في مخيلاتهم من النشأة المترفة والحياة الرغيدة، إنَّ الأب (عبد الغفور البرعي) يعلن العنوان . ضمنيا . على امتداد الرواية ، ولسان حاله في كل تصرفاته على امتداد الأحداث" **لن تعيشوا في جلبابي**" ولكن إحسان يستظهر هذه العبارة ليمنحها الفردية لكل شخصية تتصل بالشخصية الرئيسة في الرواية، ولكن كلٌ منها يصرِّح بها وفق موقفه، ويعبِّر عن رفضه وتأكيد نفيه الأبدي على طريقته

واختياره واستخدام "لن" لتأييد هذا المبدأ، وتقريره وتحمُّل عواقبه . مهما بلغت ـ فضلًا عن مدلولات مكملات تركيب العنوان.

٤/مكملات جملة العنوان (في جلباب أبي): حرف الجر(في) يفيد الدخول والظرفية والاحتواء والملابسة، وهو تمرد من شخوص الرواية جميعًا ـ اختزله الكاتب في العنوان . على كل أشكال التواصل والذوبان والانصهار التي تحملها دلالة اللفظ المجرور(جلباب) والذي يرمز . وفق مبدأ التداولية الأصيل وهو الافتراض المسبق . إلى استدعاء صورة الشخصية التراثية المحافظة على العادات والتقاليد، والمقدِّسة للثوابت والمظاهر الشخصية التي تنتشر في الأرياف أكثر من المدن، وعلى الرغم من أن أحداث الرواية تبدأ من شخصية (الأب:عبد الغفور البرعي) وإليه تجتمع خيوطها في آنٍ واحد، إلا أنه لم يظهر في الرواية بصورةٍ مباشرةٍ إلا في مواقف معدودة .

لقد ألقى الكاتب الضوء على شخصية (الأب:عبد الغفور البرعي) . بتقنية روائية خاصة اعتمدت أسلوب الحكي على لسان الغير . من خلال حديث الراوي عنه (كل هذا الكلام كنا نسمعه ونتداوله عن الحاج عبدالغفور البرعي وعائلته، ولكني لم أعرف الحاج عبد الغفور معرفة شخصية ولا ابنه عبد الستار ولا بنتًا من بناته، لم أعرف إلا عبد الوهاب)٧٤واقتصار معرفة الراوي على(عبد الوهاب) يتعالق سيميائيًا مع العنوان؛ إذ إنَّه المستهدف الرئيس من دلالة التركيب الإضافي **(جلباب أبي)** فيه، فإليه يُحيل ضمير المتكلم في المضاف إليه **(أبي)** .

٥/ بمحاولة قراءة العنوان كاملًا قراءة تداولية ـ وفق مبدأ التعاون التداولي ـ على لسان شخصيات الرواية ، وبالأخص شخصية (عبد الوهاب عبد الغفور البرعي) يمكن القول : إن النفي في التركيب قد أسهم في منح العنوان طاقتين في آنٍ واحد، هما طاقتا الثبوت الرفضي وطاقة التأبيد والاستمرار، فكل شخصيات الرواية صاغت عنوان الرواية بمواقفها المختلفة، وتشاركت مع غيرها في وحدة الموقف من الوالد، والتأكيد

على الخروج من عباءته برمزيتها وتحققت طاقة النفي الإنجازية للأداة (لن) مع الفعل ولكن بأحوالٍ مختلفةٍ كشفت عنها أحداث الرواية،ويمكن إجمالها في : **(الهروب: عبد الستار/ الطلاق: بهيرة، سنية/ الرفض: نظيرة/ الانتظار: نفيسة/ الحيرة:عبد الوهاب).**

المبحث الرابع

النفي في العنوان الروائي

باستخدام الفعل (ليس)

اختلف النحاة في دلالة (ليس)، فذهب جمهور النحاة إلى أنها لنفي الحال:ومنهم الزمخشري[٧٥] وذهب بعضهم إلى صلاحيتها لنفي الماضي والمستقبل والحال [٧٦]والذي يميل إليه البحث أنَّ(ليس) لنفي الحال أقرب إلى الدلالة ،ما لم توجد قرينة فتكون عندئذٍ بحسب تلك القرينة .

وقد ورد استخدام (ليس)في العنوان الروائي لدى إحسان عبد القدوس في عنوان روايته **(قلبي ليس في جيبي)** ، ويمكن قراءة العنوان قراءة سيميائية تداولية من خلال ما يلي:

١/ يتركب العنوان . نحويًا . من:(مبتدأ/مضاف ومضاف إليه+ فعل النفي/ليس+اسم محذوف+خبر الناسخ /شبه جملة+مضاف إليه).

٢/ تعتمد بنية العنوان التركيب الاسمي نمطًا لها، ويتكوَّن من جزئين، يأتي الجزء الأول في موقع الابتداء(قلبي)ويمثل أحد الوسائل المعجمية لتقوية إنجازية الخبر المعتمِد عليه ، حيث تمثِّل اختيارية اللفظ وموقعيته التركيبية وسيلة بالغة الأهمية في تحقيق الهدف المنوط به التركيب ، وهو ما قصده أحد الباحثين بقوله :"إنَّ الكلمة تمثل الوحدة المعجمية(الصرفية/الإعرابية) معًا القابلة لأن تكتسب بالإضافة إلى معناها المعجمي سمات دلالية إضافية، من خلال علاقتها بالمقال الذي ترد فيه ، وبالمقام

الذي تستعمل فيه، وهي قادرة في الوقت نفسه على التأثير في ذلك المقال والمقام بفضل ما لها من قيم دلالية مختلفة، بعضها مستمد من اللغة نفسها وبعضها متأت من الاستعمال والتداول" (٧٧) وفي هذا التركيب تأتي الجملة الاسمية مفيدة ثبوت الحكم وتقريره من خلال اعتماد المبتدأ على الخبر ذي التركيب الفعلي المنسوخ ، الذي تظهر فيه سيميائية النفي بـ (ليس) التي تعبِّر- من خلال استقراء الرواية- عن ذاتية التجربة وخصوصيتها ببطلة الرواية .

٣/ تأتي مكملات الجملة المبدوءة بالفعل النافي (**ليس** في جيبي) لتقيم علاقة بين ركني العنوان الدلالية(الحب/المال) وهو ما قصده الكاتب . في ظني . من الانتقال من الثبوت في الابتداء (قلبي) إلى النفي في جملة الخبر.

٤/ باستقراء العنوان قراءة سيميائية تداولية . من خلال أحداث الرواية- يظهر مدى ارتباط العنوان بالنص الروائي، فالرواية تدور حول فتاة ربحت الكثير وفقدت الكثير حلمت فنالت، وتمادت فخابت ... سعت هربًا من الفقر وكرهته أشد الكره، وسلكت في الفرار منه كل المسالك الشرعية واللاشرعية منها .. وقد جعل منها الكاتب.. فتاة شديدة الذكاء وجذابة على الرغم من سُمرتها التي لا تجذب الكثير إلا أنها استطاعت أن تجعل من سُمرتها بريقًا جذابًا في أعين من يراها رجلا كان أو امرأة .. وينتهى بها المطاف إلى تسوُّل الحب حتى من سائق! بعد أن تسوَّلته من تاجرٍ مسيحي لم يتكلف أي عناء في الوصول إليها ، فنال منها ما أراد وملَّها فرحل عنها! وانتهت من هذا كله بثروة ما كانت لتحلم بها!

وحضور العاطفة في العنوان من خلال التركيب الإضافي في موقعية الابتداء(قلبي) يكشف عن ارتباطه بشخصية البطلة الغارقة في دنيا العاطفة ثم حضور النفي بـ (ليس) لنفي الحال، واستخدام الخبر(شبه الجملة/في جيبي) يكشف عن بعد سيميائي آخر، وهو التغيُّر في شخصية البطلة وانتقالها من حالة العاطفة السامية لحالة الابتذال

والتضحية بالشرف، فالبعد السيميائي للقلب هو العاطفة والحب، والبعد السيميائي للجيب هو سيطرة الجشع وحب المال والحصول عليه بأية وسيلة .

نتائج الدراسة

حاولت هذه الدراسة إلقاء الضوء على الوظائف التداولية والسيميائية لبنية التركيب في العنوان الروائي ، من خلال اختيار ظاهرة النفي مجالًا لها ، وهي مقاربة بحثية ارتضت بعض العناوين نماذج للتحليل ، وقد خلصت الدراسة إلى جملة من النتائج يمكن إجمالها فيما يلي :

١/ اتخذت ظاهرة النفي في عناوين إحسان عبد القدوس أنماطًا عدة ، فاستخدم فيها النفي بالأدوات (لا/لن/لم) والنفي بالفعل (ليس) وتنوعت تركيبية العنوان من خلال موقعية النافي فيها ، واختلف تبعًا لذلك الوظيفة التداولية السيميائية للنفي، في إطار من التناغم والاتساق، فجاءت العناوين دالة على المضامين ولكن بعد أن أكسبتها مزية التشويق والإغراء.

٢/ أسهمت الدراسة التداولية السيميائية للعناوين الروائية لإحسان عبد القدوس وبخاصة العناوين ذات بنية النفي في إبراز طاقات التركيب النحوي للعنوان ونجاحه في نقل رؤية الكاتب في التمرد على بعض الموروثات والتقاليد ودعوته القوية إلى التجديد.

٣/ بلغت عناوين الروايات المعتمدة لإستراتيجية النفي (١٣عنوان) وتوزعت على النحو التالي (٧: نفي باستخدام الأداة "لا")، (٣: باستخدام لم)، (٢: باستخدام لن) (١:باستخدام ليس) وهي نسبة بلغت ٢٠% من إجمالي روايات إحسان عبد القدوس وهو ملمحٌ يستحق الوقوف أمامه ودراسة دلالته، إذ إنَّ الكاتب . ولا سيما إن كان بقيمة إحسان عبد القدوس . لايداوم على مثل هذه الظاهرة عفو الخاطر دون قصدٍ بعينه يتغياه.

٤/ تنوعت إستراتيجية النفي في الروايات بين (النفي المحال/ النفي الممكن/ النفي التعليلي/ النفي المكافئ/النفي التام/ النفي البسيط/ النفي التقابلي) كما اختلفت وظيفة النفي في العنوان(نفي الحدث/نفي المكان) واختلفت مرجعية ضمائر التركيب المتضمن لأسلوب النفي بين (المحاطب/المتكلم/الغائب)وهي كلها معطيات ذات وظائف سيميائية تداولية حاولت الدراسة إبرازها من خلال التطبيق.

٥/ ثمة مجموعات قصصية متنوعة المسارب ومتعددة الاتجاهات، حاول إحسان عبد القدوس أن ينظم شعثها ويجمعها تحت عنوان واحد واستخدم فيه الكاتب أسلوب النفي مستغلًا طاقاته الدلالية في الربط بين تلك الموضوعات، مثل رواية (آسف لم أعد أستطيع) وقد حاولت الدراسة إبراز الصلة بين هذه العناوين ومضامين القصص بداخلها.

٦/ سلك إحسان عبد القدوس في صياغة عناوينه مسلكًا مائزًا، حيث احتفى بالتنوع التركيبي واللغوي للغة الأدبية المتمردة على المعيارية اللغوية ، وهو بهذا يمنح عناوينه قوة ومزية خاصة، وينتهج لنفسه أسلوبا خاصًا مع الاحتفاظ بوحدة شخصيته الإبداعية ووحدة أسلوبه.

٧/ كشفت دراسة ظاهرة النفي من المنظور السيميائي التداولي موقف الكاتب من التقاليد السائدة ـ آنذاك . وصراعه ضد السلطة وثورته على القيم السائدة والثقافات الموروثة، لقد خاض صراعا ضد مختلف أنواع التسلط والرقابة التي أزعجته في بداياته الصحفية، ومن ثم أكسب عناوينه سمات الرمزية **والتشيؤ**، وأسبغ على بعضها مزية الإغراء التسويقي والإبهام والتشويق، وبعضها على شكل المونولوج المفقود أحد طرفيه، وكانت ظاهرة النفي حاضرة أساسية في تلك العناوين.

٨/ فتحت الدراسة آفاقًا جديدة لتناول ملمح مثير للدراسة في أعمال إحسان عبد القدوس وهو ملمح اختيارية العناوين وانتقائية عتباته الروائية بدقة، ومحاولة النفاذ من

خلالها إلى عالمه الروائي، ومن ثم يمكن دراسة ظواهر (النهي/ الاستفهام/ الجملة الخبرية/ غيرها) في عناوينه الروائية.

الهوامش والإحالات

[١] ابن جنى ، الخصائص ٣٣/١، تحقيق محمد علي النجار ، دار الكتب المصرية ، (د.ط).

[٢] Haslett: Communication Cstrategic action In Contet , Ibid,p3

[٣] إدريس سرحان : الأمر كفعل إنجازي غير مباشر ، مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية دراسات إنسانية ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله ، ص٧٧، ظهر المهراز ، فاس، عدد خاص ١٤١٦/١١هـ ، ١٩٩٥هـ .

[٤] عبد الهادي بن ظافر الشهري ،إستراتيجيات الخطاب ،مقاربة لغوية تداولية ،ص١٦ دار الكتاب الجديد المتحدة ،ليبيا ٢٠٠٤م .

[٥] لوسيان جولدمان ،مقدمة إلى مشكلات علم اجتماع الرواية ، ت. خيرى دومة ،مجلة فصول ، ص٣٨، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،مج١٦ ع٢/ ،القاهرة .

[٦] عبد المالك أشهبون،العنوان في الرواية العربية،ص١٦.

[٧] فيصل الأحمد، السيمائية الشعرية،ص١٠،جمعية الاقناع والمؤانسة، الجزائر ٢٠٠٥م، (د.ت)

[٨] Umbroto Eco,Atheory of semiotics.Advences,Bloomington,Indian University, Press 1976,P7

[٩] عبد الواحد المرابط، السيمياء العامة وسيمياء الأدب، (من أجل تصور شامل)، منشورات الاختلاف ،ص١٠ ، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان ٢٠١٠م.

[١٠] جميل حمداوي ، السيموطيقيا والعنونة، مجلة عالم الفكر، مج ٢٥،ع:٣، ص ٨٦: ٩٦، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب الكويت ١٩٩٧م.

[١١] محمد عويس،العنوان في الأدب العربي النشأة والتطور،مكتبة الأنجلو المصرية ،ط١، القاهرة١٩٨٨م.

[١٢] محمد فكري الجزار، العنوان وسيموطيقيا الاتصال الأدبي، مطبوعات الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة١٩٩٨م.

[١٣] عبد المالك أشهبون، العنوان في الرواية العربية، محاكاة للنشر والتوزيع،ط١،سوريا٢٠١١م.

[١٤] عمرو عبدالسميع ، بعض من ذكرياتي ،ص٢٢٢ ،مطبوعات الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ٢٠١٨م .

[١٥] عبدالرحمن محمد طعمة ،علم الدلالة التركيبى دراسة تطبيقية في نظرية المعنى وتداولية السياق ، ص١٢٥.

[١٦] ستروس ،الدلالة وقيمة الصدق ،ضمن : المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث ،ترجمة وتعليق : عبدالقادر قنيني ،ص٧٩ أفريقيا الشرق ،المغرب ٢٠٠م .

[١٧] راضية خنيف بوبكري، التداولية وتحليل الخطاب الأدبي مقارنة تداولية ، مجلة الموقف الأدبي ، ص١٢،اتحاد كتاب العرب ع ٣٩٩، دمشق ، تموز٢٠٠٤م ، وينظر الموقع الالكتروني-www.awu dam.org

[١٨] Shaozhong liu: What is pragmatic,1999.

[١٩] ينظر:عبد القادر عواد ، آليات التداولية في الخطاب ، الخطاب الأدبي أنموذجًا ، ص٤٤، بحث منشور، مجلة علامات ، ع٧٤، مج١٩، شعبان١٤٣٢هـ، يوليو٢٠١١م.

[٢٠] فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية ، ص٢٦.

[٢١]حسن مصطفى سحلول، نظريات القراءة والتأويل الأدبي وقضاياها ، ص١١.

[٢٢]خوسيه ماريا إيفانكوس، نظرية اللغة الأدبية، ترجمة حامد أبو أحمد ، ص٢٣٢، دار غريب ، القاهرة١٩٩١م.

[٢٣] سيبويه ،الكتاب ١١٧/٣ ،تحقيق عبدالسلام هارون ،ط٣ ،مكتبة الخانجى ،القاهرة ١٩٨٨م .

[٢٤] ينظر : مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ،دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ص٥٢ ، دار الطليعة ، ط١، بيروت ٢٠٠٥م ، ،وينظر : محمود نحلة ،آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، صـ٢٦.

[٢٥] جاك موشلر،آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية ، صـ٢٥٠، ترجمة:مجموعة من الأساتذة والباحثين ،بإشراف عز الدين المجدوب، مراجعة خالد ميلاد ، دار سيناترا ، المركز الوطني للترجمة ، تونس ٢٠١٠م.

[٢٦] صالح خديش ،قضايا النفي في العربية ،مقاربة ملفوظية ،مجلة الدراسات اللغوية ،مختبر الدراسات اللغوية ،جامعة منتوري قسنطينة ،الجزائر ،ع١ ،٢٠٠٢م .

[٢٧] إحسان عبد القدوس ، لا..ليس جسدك، مطبوعات دار مصر للطباعة ، د.ت .

[٢٨] جوليا كرستيفا ، علم النص ،ترجمة فريد زاهي ، ص٢٢، ط٢، دار تبقال للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء ١٩٩٧م ..

[٢٩] عماد خالد عبد النبي ،"تجليات العنوان في الرواية الليبية : دلالات التركيب وجماليات التأويل ،مجلة شمالجنوب ، جامعة مصراته كلية الآداب – قسم اللغة الفرنسية ،عع١١ ،ص٥٣ ، يونيو ٢٠١٨م

[٣٠] محمد فكري الجزار ، العنوان وسيموطيقيا الاتصال الأدبي ،ص١٩

[٣١] السابق ،ص٢١

[٣٢] خالد حسين حسين ،في نظرية العنوان ، ص٧٨ ، دار التكوين ،دمشق ٢٠٠٧م ،

[٣٣] كامل الشناوي، زعماء، فنانون وأدباء،ص١٠٣.

[٣٤] فيلسوف فرنسي معاصر وأديب روائي، عرف بفلسفة العبث واللامعقول.

[٣٥] مورفان لوبيسك، ألبير كامي، حياته وأدبه وفلسفته من كتابه، ص١٢٥.

[٣٦] نشر هذا المقال بمجلة روز اليوسف بتاريخ ١٩أبريل ، عام ١٩٥٤م، ينظر: رشاد كامل ، إحسان عبد القدوس وذكريات ٩٩يوم في السجن .

[٣٧] بدأ إحسان عبد القدوس نشر مجموعته القصصية (البنات والصيف) بصورة أسبوعية على صفحات مجلة صباح الخير، ابتداء من ٢٨أغسطس ١٩٨٥م ، ينظر: مقال اليوم السابع ، بتاريخ ٢٠٢٠/٨/٢٨م، بعنوان (ذات يوم) بقلم/ سعيد الشحات.

[٣٨] سعيد الشحات يكتب ، ذات يوم ٣١يوليو١٩٥٤..إحسان عبد القدوس يخرج من السجن بعد ٩٥يومًا ، وعبد الناصر يدعوه للإفطار معه بمنزله في اليوم التالي ، اليوم السابع ٣١يوليو ٢٠١٨

[٣٩] عبد الله الغذامي، تشريح النص ، مقاربات تشريحية لنصوص شعرية معاصرة ، ص ١٧، ط٢، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب٢٠٠٦م

[٤٠] ينظر : سيبويه : الكتاب١١٧/٣،الزمخشري :المفصل ٣٦٤، الزجاجي :حروف المعاني ٨، ابن هشام : مغني اللبيب ٣٢٢

[٤١] المرادي : الجنى الداني٣٠٣،٣٠٤

[٤٢] الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ٣٨٧/٤،٣٨٨، السهيلي : نتائج الفكر ١٣٠،١٣١

[٤٣] إحسان عبد القدوس، رواية لا أنام (ص١٧).

[٤٤] السابق ، ص٨٨.

[٤٥] مخائيل باختين، الكلمة في الرواية، (ص٣٦)، ترجمة يوسف حلاق، ط: دمشق ١٩٨٨م.

[٤٦] السابق ، (ص٥٩،١٢٦).

[٤٧] يقصد بالافتراض المسبق ـ في المنظور التداولي ـ محتوى القول سواء تلفظ بهذا القول إثباتًا أو نفيًا ، فهو يدور حول المعلومات المشتركة بين المتكلم والمتلقي ، أي : يوجه المتكلم حديثه إلى السامع على أساس ممَّا يفترض سلفًا أنه معلوم له " ينظر: الجيلاني دلاش ، مدخل إلى اللسانيات التداولية ، صـ٤٣، ترجمة محمد يحياتن ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ١٩٩٢م.

[٤٨] فان دايك ، النص والسياق ،ترجمة عبد القاهر قنيني ، ص٢٩٢، دار أفريقيا الشرق ، المغرب١٩٩٩م.

[٤٩] ابن جني، الخصائص ٢٥١/١.

[٥٠] عبد الله جاد الكريم ، التداولية في الدراسات النحوية ، صـ٤٦، ط١، مكتبة الآداب ، القاهرة ٢٠١٤م.

[٥١] السابق ، صـ٤٥.

[٥٢] شاعر الحسن ، علم اللغة السيماتيكية والبراغماتية في اللغة العربية، ص١٦٩،،ط١،دار الفكر للطباعة والنشر، القاهرة٢٠٠١م.

[٥٣] عالم لغوي هولندي ، ينظر: أحمد عزوز، المدارس اللسانية ، أعلامها، مبادئها ومناهج تحليلها للأداء التواصلي،ص٥٦، ط٢،دار آل الرضوان، وهران ، الجزائر٢٠٠٨م.

[٥٤] فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية ، ص٣٨، ترجمة سعيد علوش، مطبوعات مركز الإنماء اللغوي، الرباط، المغرب١٩٨٦م.

[٥٥] ينظر:ابن السراج ، الأصول١٥٧/٢،الرماني ، معاني الحروف١٠١، المالقي ، رصف المباني ٣٥٠

[٥٦] سيبويه، الكتاب١٣٦/١، الزمخشري ، المفصل٣٦٥

[٥٧] سيبويه، الكتاب٢٢٠/٤.

[٥٨] ابن عصفور، المقرَّب،ص٢٧١.

[٥٩] ابن هشام ، شرح شذور الذهب،ص٢٦.

[٦٠] عبد الله جاد الكريم ، التداولية في الدراسات النحوية ، صـ٣٨، ط١، مكتبة الآداب ، القاهرة ٢٠١٤م.

[٦١] رشاد كامل ، إحسان عبد القدوس وذكريات ٩٩يوم في السجن .

[٦٢] محمود فوزي ، إحسان عبد القدوس بين الاغتيال السياسي والشغب الجنسي ،ص٢٨، مكتبة مدبولي ، القاهرة ١٩٨٨م.

[٦٣] موشلر،جاك،وريبول،آن:القاموس الموسوعي للتداولية،ص٢١٤،٢١٥.

[٦٤] وغابت الشمس ولم يظهر القمر (ص:١٤٤).

[٦٥] الرماني، معاني الحروف،ص١٠٠، الزجاجي: حروف المعاني ،ص٨.

[٦٦] الزمخشري: الأنموذج في النحو،ص١٠٢.

[٦٧] السيوطي: الأشباه والنظائر١٩/٥.

[٦٨] ابن هشام: مغني اللبيب٣٧٤،الاستراباذي:شرح الرضي على الكافية٣٨/٤.

[٦٩] ينظر: تفسير القاسمي٣٣٠/١،٣٣١،أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط٤٧٩/١.

[٧٠] ينظر:الزمخشري:الكشاف١٦٧/٣،أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط٣٩٠/٦،ابن يعيش: شرح المفصَّل١١١/٨،١١٢.

[٧١] ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، تحقيق وشرح عبد اللطيف محمد الخطيب ٢٩٨/١، ط١، السلسلة التراثية الكويت٢٠٠٠م.

[٧٢] الخوارزمي ، المفصل في صنعة الإعراب ، تحقيق الدكتور عبد الرحمن العثيمين،ص٤٠٧، ط١، دار الغرب الإسلامي، لبنان ١٩٩٠م.

[٧٣] أفعال الالتزام :غرضها الإنجازي التزام المتكلم بفعل شيء في المستقبل ، ينظر:لانج،جوتس هنده،مدخل إلى نظرية الفعل الكلامي ترجمة سعيد بحيري،ص٨٨،ط١،مكتبة زهراء الشرق٢٠١٢م.

[٧٤] لن أعيش في جلباب أبي ، ص١٥.

[٧٥] الزمخشري: المفصَّل ،ص٣٢١

[٧٦] ينظر: المرادي، الجنى الداني ، ص٤٦٣،الاستراباذي:شرح الرضي١٩٩/٤.

[٧٧] عبد الله صولة، الحِجاج في القرآن، ص٦٨.

المصادر والمراجع

١/ إحسان عبد القدوس ، لا..ليس جسدك، مطبوعات دار مصر للطباعة ، د.ت .

٢/ إدريس سرحان : الأمر كفعل إنجازي غير مباشر ، مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية دراسات إنسانية ، جامعة سيدي محمد بن ٣/ عبد الله ، ظهر المهراز ، فاس، عدد خاص ١٤١٦/١١هـ ، ١٩٩٥هـ .

٤/ أحمد عزوز، المدارس اللسانية ، أعلامها، مبادئها ومناهج تحليلها للأداء التواصلي، ط٢ دار آل الرضوان ، وهران الجزائر٢٠٠٨م.

٥/ جاك موشلر،آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية ، ترجمة:مجموعة من الأساتذة والباحثين ،بإشراف عز الدين المجدوب، مراجعة خالد ميلاد، دار سيناترا ، المركز الوطني للترجمة، تونس ٢٠١٠م.

٦/ ابن جنى ، الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الكتب المصرية ، (د.ط).

٧/ جوليا كرستيفا ، علم النص ،ترجمة فريد زاهي ، ط٢ ، دار تبقال للنشر والتوزيع ،الدار البيضاء ١٩٩٧م .

٨/ جميل حمداوي ، السيموطيقيا والعنونة، مجلة عالم الفكر، مج ٢٥،ع:٣،المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت ١٩٩٧م.

٩/ حسن مصطفى سحلول، نظريات القراءة والتأويل الأدبي وقضاياها ، منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق٢٠٠١م.

١٠/ خالد حسين حسين ،في نظرية العنوان ،دار التكوين ،دمشق ٢٠٠٧م .

١١/ الخوارزمي ، المفصل في صنعة الإعراب ، تحقيق الدكتور عبد الرحمن العثيمين ، ط١، دار الغرب الإسلامي ، لبنان ١٩٩٠م.

١٢/ خوسيه ماريا إيفانكوس، نظرية اللغة الأدبية، ترجمة حامد أبو أحمد ، دار غريب ، القاهرة١٩٩١م.

١٣/ راضية خنيف بوبكري، التداولية وتحليل الخطاب الأدبي مقارنة تداولية ، مجلة الموقف الأدبي ، اتحاد كتاب العرب ع ٣٩٩، دمشق ، تموز٢٠٠٤م ، وينظر الموقع الالكترونيwww.awu-dam.org

١٤/ سعيد الشحات : رشاد كامل ، إحسان عبد القدوس وذكريات ٩٩يوم في السجن ، مقال منشور بجريدة اليوم السابع،١٣ يوليو ٢٠٢٣م.

١٥/ الرمَّاني، معاني الحروف،تحقيق عبد الفتاح شلبي،دار نهضة مصر للطباعة والنشر ،القاهرة،(د.ت)

١٦/ الزجاجي: حروف المعاني، حققه وقدم له علي توفيق الحمد ، ط٢، مؤسسة الرسالة،بيروت١٩٨٦م.

١٧/ الزمخشري: المفصَّل في صنعة الإعراب، تحقيق علي بوملحم،ط١،مكتبة الهلال، بيروت١٩٩٣م.

١٨/ الزركشي ، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،ط١،دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، لبنان ١٩٥٧م.

١٩/ الاستراباذي، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، تحقيق حسن بن محمد بن إبراهيم الحفظي – يحي بشير مصطفى ، ط١، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٦٦م.

٢٠/ ستروس ،الدلالة وقيمة الصدق ،ضمن : المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث ،ترجمة وتعليق عبدالقادر قنيني، أفريقيا الشرق ،المغرب ٢٠٠م .

٢١/ ابن السراج ، الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي،مؤسسة الرسالة ،د.ت

٢٢/ سيبويه ،الكتاب ،تحقيق عبدالسلام هارون ،ط٣ ،مكتبة الخانجى ،القاهرة ١٩٨٨م .

٢٣/ السيوطي: الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق عبد العال سالم مكرم،ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت١٩٨٥م.

٢٤/ شاعر الحسن ، علم اللغة السيماتيكية والبراغماتية في اللغة العربية ، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر، ، القاهرة٢٠٠١م.

٢٥/ صالح خديش ،قضايا النفي في العربية ،مقاربة ملفوظية ،مجلة الدراسات اللغوية ،مختبر الدراسات اللغوية ،جامعة منتوري قسنطينة ،الجزائر ،ع١ ،٢٠٠٢م .

٢٦/ عبدالرحمن محمد طعمة ،علم الدلالة التركيبى دراسة تطبيقية في نظرية المعنى وتداولية السياق ، دار النابغة للطبع والنشر والتوزيع ، طنطا ٢٠١٩م.

٢٧/ عبد الله جاد الكريم ، التداولية في الدراسات النحوية ، مكتبة الآداب ، ط١، القاهرة ٢٠١٤م.

٢٨/ عبد الله صولة، الحِجاج في القرآن (من خلال أهم خصائصه الأسلوبية)،ط٢، دار الفارابي، بيروت، لبنان٢٠٠٧م.

٢٩/ عبد الله الغذامي، تشريح النص ، مقاربات تشريحية لنصوص شعرية معاصرة ، ط٢، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب٢٠٠٦م .

٣٠/عبد المالك أشهبون،العنوان في الرواية العربية، ط١،محاكاة للنشر والتوزيع، دمشق٢٠١١م.

٣١/عبد الهادي بن ظافر الشهري ،إستراتيجيات الخطاب ،مقاربة لغوية تداولية ، دار الكتاب الجديد المتحدة ،ليبيا ٢٠٠٤م .

٣٢/ عبد الواحد المرابط، السيمياء العامة وسيمياء الأدب، (من أجل تصور شامل)، منشورات الاختلاف ، الدار العربية للعلوم، ناشرون، لبنان ٢٠١٠م.

٣٣/ابن عصفور، المقرَّب، تحقبق أحمد عبد الستار الجواري، عبد الله الجبوري، ط١، مؤسسة الرسالة ، بيروت١٩٧٢م.

٣٤/عماد خالد عبد النبي ،"تجليات العنوان في الرواية الليبية : دلالات التركيب وجماليات التأويل ،مجلة شمالجنوب ، جامعة مصراته كلية الآداب – قسم اللغة الفرنسية ،ع١١ ، يونيو ٢٠١٨م

٣٥/عمرو عبدالسميع ، بعض من ذكرياتي ،مطبوعات الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ٢٠١٨م .

٣٦/فان دايك ، النص والسياق ،ترجمة عبد القاهر قنيني ، دار أفريقيا الشرق ، المغرب١٩٩٩م.

٣٧/فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية ، ترجمة سعيد علوش، مطبوعات مركز الإنماء اللغوي، الرباط، المغرب١٩٨٦م.

٣٨/ فيصل الأحمد، السيمائية الشعرية، جمعية الاقناع والمؤانسة، الجزائر ٢٠٠٥م، (د.ت).

٣٩/ كامل الشناوي، زعماء، فنانون وأدباء،ط٢، دار المعارف ، القاهرة١٩٩٨م.

٤٠/لوسيان جولدمان ،مقدمة إلى مشكلات علم اجتماع الرواية ، ت. خيرى دومة ،مجلة فصول ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،مج١٦ ع/٢ ،القاهرة .

٤١/محمد عويس،العنوان في الأدب العربي النشأة والتطور، ط١، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة١٩٨٨م.

٤٢/محمد فكري الجزار، العنوان وسيموطيقيا الاتصال الأدبي، مطبوعات الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة١٩٩٨م.

٤٣/محمود فوزي ، إحسان عبد القدوس بين الاغتيال السياسي والشغب الجنسي ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ١٩٨٨م.

٤٤/المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت١٩٩٢م.

٤٥/مورفان لوبيسك، ألبير كامي، حياته وأدبه وفلسفته من كتابه، دار النهضة العربية، القاهرة١٩٨٦م.

٤٦/ميخائيل باختين، الكلمة في الرواية، ترجمة يوسف حلاق، منشورات وزارة الثقافة ، د.ط، دمشق ١٩٨٨م.

٤٧/ابن هشام ، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، د.ت.

Umbroto Eco,Atheory of semiotics.Advences,Bloomington,Indian University, Press 1976/48

Abstract

This study is entitled " negation in narrative title: A pragmatic-semantic approach. (Ihsan Abd El kudus as a model) based on data of the linguistic speech which considers narrative title as a speaking textual and samantic sign that includes structures which have many functional dimensions. Both the pragmatic and semantic dimensions come to the forefront among other ones where narrative title becomes - in linguistics - the subject matter of pragmatics and semantics par excellence. If pragmatics in its definitive priorities is sign science, which in its analytical tracks is based on special principles based primarily on the linguistic system, semantics is the science that looks at the systems of such signs, whether linguistic or non-linguistic

This interrelationships among (Syntax, Pragmatics, Semantics) presents the idea of the study through selecting one of linguistic phenomena (negation) and identifying its pragmatic and semantic dimensions in narrative title of one of the writers who is famous for founding special school of narrative title. He is the great writer Ihsan Abd El Kudus. The study selects eight works of fiction with a diversity of the phenomenon of negation between articles and verbs, multiple positions in the fiction structure and, accordingly, multiple pragmatic functions and semantic dimensions, which lead the study to the assumption of a fundamental result: The dominance of the linguistic selection power of this phenomenon over the writer's pen in its drafting of fiction titles to other outcomes of the semantic- pragmatic approach to these titles.

Keywords: Title, Pragmatics, Semantic, Novel, Negation